

## الفصل الثالث

### الأدبيات التعليمية للمعلم والمتعلم في المذهب المالكي

تتميز:

تأتي أهمية دراسة الأدبيات التعليمية والتربوية للمعلم والمتعلم لأن "العملية التعليمية إنما هي عملية تفاعل عقلي حى بين كائنين بشريين أحدهما مكتمل العقل والمعرفة والخبرة أو هكذا يفترض أن يكون - هو المعلم، وثانيهما مبتدئ فيها كلها"<sup>(١)</sup>.

"وتستهدف هذه العملية أساساً مساعدة التلميذ على تحقيق النمو السوى فى جميع جوانب شخصيته الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية والروحية ليصبح قادراً على خدمة مجتمعه والمساهمة فى تنميته. فالمتعلم يمثل محور العملية التعليمية بينما يسهم العلم بدورٍ فاعلٍ وهامٍ فى تنظيم عملية تعلم التلاميذ"<sup>(٢)</sup>.

"وبالتالى فإن الاهتمام بالعلاقة بين المعلم والمتعلم، والعناية بسلامتها فى كل جوانبها وأبعادها يعد عملاً ضرورياً ومطلوباً، حيث يُسهم بدورٍ أساسى وكبيرٍ فى نجاح العملية التعليمية، ويدفعها إلى إنجاز مهامها المختلفة.

وتزداد أهمية دراسة هذه العلاقة إذا أدركت مدى ما تعانيه هذه العلاقة عملياً وواقعياً من صور الانحراف والفساد فى مختلف جوانبها ومجالاتها داخل نظمنا التعليمية فى الوقت الحاضر، والتي برزت كامتدادٍ لانعكاسات وفتنل تطبيقات الأفكار والأساليب والأنظمة التربوية غير المتفقة وطبيعة مجتمعاتنا الإسلامية"<sup>(٣)</sup>.

(١) محمد جواد رضا، الفكر التربوي الإسلامى: مقدمة فى أصوله الاجتماعية والعقلانية، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٨٠)، ص ١٠٤.

(٢) عزت جرادات وآخرون، مدخل إلى التربية، المكتبة التربوية المعاصرة (٢)، ط (٣)، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٨٧)، ص ١٠١.

(٣) محمد ناجح محمد أبو شوشة، المضامين التربوية فى أهم مصادر المذاهب الشافعي، ورسالة دكتوراه، غير منشورة كلية التربية بسوهاج، جامعة جنوب الوادي، ٢٠٠٢م، ص ١٥٣.

وقد أوضحت نتائج تحليل المصادر عينة الدراسة اهتمام فقهاء المالكية بإبراز الأدبيات التعليمية للمعلم والمتعلم لإدراكهم بأهمية العلم والتعليم فأورد الإمام ابن الحاج إسهاباً مطولاً في التزام المعلم والمتعلم بأدبيات وأخلاقيات عملية التعليم والتدريس وأورد الإمام الحطاب مجموعة من هذه الآداب في كتابه "مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل"، وإن هذه الأدبيات التي نسجها فقهاء المالكية لم تكن من نسيج خيالهم وإنما أوجدتها فيهم تلك التجارب الميدانية أثناء تأديتهم للعملية التعليمية لأنهم كانوا معلمين ومربين<sup>(١)</sup>.

وقد قدموا مجموعة من الإرشادات المنهجية للعلاقة بين المعلم والمتعلم جديدةً بالتحليل والتطبيق من جانب القائمين على العملية التعليمية والتربوية وطلاباً ومعلمين وموجهين ومسؤولين وإداريين، حيث إن التعليم في الإسلام رسالة قبل أن يكون مهنة. نعرض في هذا الفصل مناقشة للأدبيات التعليمية للمعلم والمتعلم كما يراها فقهاء السادة المالكية على النحو التالي:

### أولاً: أدبيات المعلم التعليمية:

قسم الإمام ابن الحاج أدبيات المعلم إلى مجموعتين :

الأولى : أدبياته في نفسه، وتحتوي أدبيات تتعلق بالنواحي النفسية والأخلاقية والجسدية .

الثانية : أدبياته في مجلسه وتنقسم إلى خمسة محاور:

المحور الأول : يتعلق بأدبيات المعلم تجاه البحث العلمي .

المحور الثاني : يتعلق بأدبياته تجاه الصحة النفسية للطلاب .

المحور الثالث : يتعلق بأدبياته في إدارة المحاضرة وإلقاء الدرس .

المحور الرابع : يتعلق بأدبياته في الالتزام بآداب تعلم العلم .

(١) يوسف محمد النجار، النهج التربوية للعلماء والمربين المسلمين، (بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٩)، ص ١٢.

المحور الخامس: يتعلق بأدبياته في الالتزام بأداب الجلوس في درسه.

ثم أدبياته في بيته ومع أهله، وأدبياته في اللباس، وأدبياته في تفقد لباس أهل بيته.

وفيما يلي عرض للأدبيات (التعليمية) الملائمة للمعلم:

(١) أدبيات المعلم في نفسه :

يقصد بها مجموعة الأدبيات والاتجاهات والأخلاقيات التي يطلب من المعلم

أن يلتزم بها في نفسه، وتشمل:

أ - إخلاص الذية في نشر العلم :

يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة إخلاص نيته في بذل العلم لأهله من منطلق

إدراكهم لأهمية العلم فالغرض من التربية لديهم هو التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

فيذكر الإمام ابن الحاج "لا يوجد في الأعمال كلها أفضل من طلب العلم، وذلك

بشرط أن تكون النية فيه حسنة فإذا كانت حسنة كان أفضل الأعمال، وقد قال مالك

رحمه الله لابن وهبٍ لما أن قام إلى الصلاة ما الذي قمت إليه بأوجب من الذي قمت عنه

وإنما قال له ذلك لما كانت نياتهم في طلب العلم ما كانت فكان طلب العلم لا يفوقه غيره،

والصلاة تُدرك؛ لأن وقتها ممتد ومسائل العلم تفوت، لأنها لا تكون ولا تتحصل للإنسان

وحده في غالب الأمر بذلك مضت الحكمة ووقع التكليف لقوله ﷺ "وإنما العلم بالتعليم" (\*)

وهو ميسر الآن عليه بسبب مجالسته الإمام مالكا الذي كان معه في ذلك الوقت فقد

تفوته مجالسته بعد الصلاة، وعلى ذلك فالنية أولى ما يراعى العالم أولاً ثم ينميها بعد ذلك

ويحسنها والعالم أولى بتنميتها وتحسينها، إذ العلم الذي عنده يبصره بذلك ويدله عليه.

قال الله سبحانه وتعالى :

(\*) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، ج(١)، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ص ١٦١.

﴿...وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (١)

وكيفية إخلاص النية أن يكون تعلم العلم بنية أن يمتثل أمر الله سبحانه وتعالى

لقوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ...﴾ (٢)

والأجر في العناية بالعلم على قدر النية، قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قد أوقع

أجره على قدر نيته" (٣)\*.

ومن هذا النص "فمن صفات العالم المعلم الحقيقي الاتصاف بصفة الإخلاص

فيكون تعلمه للعلم ونشره له ابتغاء وجه الله تعالى، لا لرياء، ولا لسمعة، ولا لحب محمدي

من الناس، ولا لنيل حطام الدنيا، فالعالم الكيس الفطن يضع نصب عينيه في كل لحظة

وحين أن هذا الكون بما فيه مملوك لله رب العالمين. فأفئدة الناس وقلوبهم مملوكة لله

وحطام الدنيا مملوك لله. وكذلك يضع نصب عينيه أن الله تعالى مطلع عليه وعلى ما في

قلبه ولا يخفى عليه خافية" (٤).

وقد قال رسول الله ﷺ: "مَنْ ابْتَغَى الْعِلْمَ لِيْبَاهِي بِهِ الْعُلَمَاءُ أَوْ لِيْمَارِي بِهِ السُّفَهَاءُ أَوْ

تَقْبِلَ أَفئِدَةَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَإِلَى النَّارِ" (\*\*).

فيجب على المعلم أن يكون مخلصاً مراقباً لله فيما بين يديه من الطلاب فيراعى في

تعليمهم العلم الله سبحانه وتعالى ويخلص نيته في تربيتهم لأن "إخلاص النية ضروري

(١) سورة العنكبوت : من الآية ٤٣ .

(٢) سورة آل عمران : من الآية ١٨٧ .

(\*) مالك بن أنس، الموطأ، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٣) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ٢٠ : ٧٢.

(٤) عبده غالب أحمد عيسى، تذكرة العلماء والمتعلمين، (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧)، ص ٥٨.

(\*\*) الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج(٥)، ص ٣٢. بلفظ "من ابْتَغَى الْعِلْمَ لِيْبَاهِي بِهِ الْعُلَمَاءُ أَوْ يْمَارِي بِهِ السُّفَهَاءُ أَوْ يَقْبِلَ إِفَادَةَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَإِلَى النَّارِ".

لحصول الأجر، فإن لم تتوافر النية فلا يؤجر المعلم نظراً لأن إخلاص النية شرطاً أساسياً<sup>(١)</sup>.

#### ب- العمل بالعلم :

يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة أن يطابق عمله علمه ويكون ترجمةً له لأنه قدوةٌ لغيره وبأثره، يهتدون ويعملون يذكر الإمام ابن الحاج "يجب على العالم بعد ذلك العمل بما يأمر به إذ هو الذي يقرأ به ؛ لأنه إن لم يعمل به كان حجة عليه يوم القيامة وحسرةً وندامة .

وروى عن النبي ﷺ ما منكم من أحد إلا وسيخوبه ربه عز وجل كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر أو ليلة تمامه يقول: يا ابن آدم ما غرك بي ما عملت فيما علمت يا ابن آدم ؟ ماذا أحببت المرسلين؟<sup>(\*)</sup>

وقوله ﷺ : أنزل الله في بعض الكتب أو أوحى إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون في غير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس جلود الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياي يخادعون وبي يستهزئون لآتيحن لهم فتنة تذر العليم فيها حيران<sup>(\*\*)(٢)</sup>.

فمن هذا النص "لابد للمعلم أن يكون عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار أكثر. فإذا خالف العمل العلم منع الرشد"<sup>(٣)</sup>.

(١) يوسف محمد النجار، مرجع سابق، ص ٤٥.

(\*) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق، ج(١٠)، ص ٣٤٧. بلفظ "ما منكم من أحد إلا أن ربه عز وجل سيخوبه كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر فيقول ابن آدم ما غرك بي ابن آدم ما غرك بي ابن آدم ماذا أحببت المرسلين ابن آدم ماذا عملت ابن آدم ماذا علمت فيما علمت يا ابن آدم ؟ ماذا عملت"

(\*\*) الدارمي(الإمام عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، ت ٢٥٥هـ) سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، ج(١)، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ) ص ٨٢.

(٢) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ٧٢.

(٣) الغزالي، مرجع سابق، ج(١)، ص ٨٠.

و"إذا لم ينتفع العالم بعلمه فغيره أبعد عن الانتفاع به، ولهذا عظمت زلة العالم لما يترتب عليها من المفاصد لاقتداء الناس به"<sup>(١)</sup>.

و"من البديهي أن يكون المعلم قدوةً، وأن يقلد المتعلم ما هو عند المعلم، فالعلم هو المخول بإزالة الأخلاق السيئة واستبدالها بأخلاق حميدة ليسير المتعلم على طريق الآخرة المؤدية إلى الله سبحانه"<sup>(٢)</sup>.

ج- أن يأخذ نفسه بالصون عن طرق الشبهات :

يؤكد فقهاء المالكية على العالم أن يصون نفسه عن مواضع المكروهات والمحرمات وفي هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغي للعالم أن يأخذ نفسه بالصون عن طرق الشبهات ويقل الضحك والكلام بما لا فائدة منه ويأخذ نفسه بالحلم والوقار"<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا النص "يجب أن يكون المعلم قدوةً حسنةً لتلاميذه في تعليم الأخلاق وغرس أصول الفضائل في النفوس؛ لأن الأطفال يتأثرين بالتقليد والمحاكاة والمثل العليا التي يرونها أكثر من غيرهم"<sup>(٤)</sup>.

د- التواضع :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة تحلية العالم بحلية التواضع لترتفع منزلته ويعظم قدره، "فإذا كان المتواضع عالماً فإنه بالتواضع يزداد علماً لأنه لا يستنكف أن يأخذ الفائدة ممن دونه. ولا يأتي أن ينقل الحق عن أي مخلوق"<sup>(٥)</sup>.

ويذكر الإمام ابن الحاج في هذا المضمار "ينبغي للعالم أن يتواضع للفقراء، ويجتنب التكبر والإعجاب ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة وإن لم يخف

(١) هشام نشابة، التراث التربوي في خمس مخطوطات، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٨)، ص ١١١.

(٢) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند الإمام الغزالي، (بيروت: دار اقرأ، ١٩٨٥) ص ٥٣.

(٣) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ٧٢.

(٤) عزت جرادات وآخرون، مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٥) عبد الرحمن الجزيري، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

خالطهم بالظاهر مع سلامة باطنه ليلبغهم أحكام ربهم عليهم، ويترك الجدل والمرء ويأخذ نفسه بالرفق والأدب وينبغي أن يكون ممن يؤمن شره ويرجى خيره ويسلم من ضره؛ وأن لا يسمع ممن نمّ عنده ويصاحب من يعاونه على الخير ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق ويزينه ولا يشينه. وينبغي أن يكون خائفاً على نفسه من التقصير مشفقاً على نفسه من التبليغ يرى نفسه أنها ليست أهلاً لذلك ويرى نفسه أنه أقل عبيد الله وأكثرهم حاجة إليه وأفقرهم إلى التعليم فالعالم عالم ما كان يرى نفسه أنه جاهل فإذا رأى نفسه أن عالم فقد جهل بل مسترشد متعلم يقعد مع إخوانه يرشدهم ويسترشد منهم ويعلمهم ويتعلم منهم" (١).

يؤكد ابن الحاج في هذا النص على مبدأ التواضع وأهميته بالنسبة للعالم للانتفاع بعلمه وعلى ذلك "فالعلم يطلب إليه إلى جانب أن يكون حازماً جاداً في تعامله التربوي أن يكون شديداً في رحمته أحياناً، ومتواضعاً، ومن التواضع معرفة أسماء الطلبة وأحوالهم، ومعرفة أقرانهم وإلى من ينتسبون، وبيئتهم الاجتماعية والثقافية، فمن تواضع لله ورثه الله الحكمة" (٢).

هـ- أن يبادر بترك المحذورات والمكروهات :

يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة اتباع أوامر الله سبحانه وتعالى واجتناب نواهيه وإقامة الشرع الشريف فيقتدى بصاحب العصمة ﷺ .

وفي هذا الصدد يذكر ابن الحاج "يستحب للعالم أن يكون أول من يبادر إلى ترك المحذورات والمكروهات بحسب جهده وطاقته ومرءته وهذا أكد لقوله ﷺ :

"ما نهيتكم عنه فاجتنبوه؛ وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم" (\*).

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ٧٤ : ٧٥.

(٢) يوسف محمد النجار، مرجع سابق، ص ص ٤٩ : ٥٠.

(\*) البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، مرجع سابق، ج (١)، ص ٢١٥.

فما وقع النهي عنه فلا يقرب لنص هذا الحديث والنهي يتناول المحرم والمكروه كما أن الأمر يتناول الواجب والمندوب فإن لم يقدر هذا العالم على الترك بالكلية وغلبته نفسه في ارتكاب شيء من المكروهات أو البدع فليحذر كل الحذر أن يطلع عليه أحد من خلق الله فيكون مستترًا ويتوب إلى الله تعالى في كل وقت يقع ذلك منه لقوله ﷺ "من بلى منكم من هذه القاذورات بشيءٍ فليستتر بستر الله فإنه من أبدى لنا صفحة وجهه أقمنا عليه الحد" (\*) فالعالم يجب عليه التستر أكثر من غيره؛ لأن شره ومعصيته ومخالفته وبدعته إن ابتلى بشيءٍ من ذلك يتعدى إلى غيره كما أن خبره كذلك متعدٍ لكن التعدى لهذا الفن أكثر لأن الغالب على النفوس الاقتداء في شهواتها وملذوناتها وعاداتها أكثر مما يقتدى به في التبعيد الذي ليس لها فيه حظ" (١).

ومن هذا النص فالعلم يجب عليه المبادرة بفعل المندوبات والسنن ويجتنب الوقوع في المحرمات والدناءات والمخالفات لأنه "ليس مجرد خازن علم يعترف منه التلاميذ معارف ومعلومات ولكنه نموذج وقدوة وأمين على ما يحمله من العلم فلا بد له من صيانتها بأن يحافظ على كرامته ووقاره، ولا يبتذل نفسه ويترخص فيها ويرتبط بهذا أن يتجنب مواضع التهم وإن بعدت، ولا يفعل شيئاً يتضمن نقص مرئته أو ما يستنكر ظاهراً وإن كان جائزاً باطنياً، فإنه يعرض نفسه للتهمة" (٢).

و- أن يقتدى بالسلف الصالح :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يتأسى العلماء بالسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين لأنهم الرعيل الأول في العلم والتعليم فيأخذ بأرائهم ويعض يده على أفعالهم فيذب عن السنة النبوية الشريفة ويحفظ الشرع الشريف ويصون هيبة العلم كما فعلوا.

(\*) مالك بن أنس، الموطأ، مرجع سابق، ص ٤٥٩.

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١١٨.

(٢) سعيد إسماعيل علي، اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي، مرجع سابق، ص ٨٢ : ٨٣.

وفى هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج "يجب على العالم أن لا ينظر إلى العوائد التي اصطالحنا عليها ولا يكون سلفنا مضواً عليها إذ قد يكون في بعضها غفلة أو غلطاً أو سهواً ولكن ينظر إلى القرن الأولى، فإن فعل هو منها شيئاً مما يراه مصلحةً في وقته فينبغي له أو يجب عليه أن يبين ذلك ويعترف بين الناس أنه مُحَدَّثٌ ويبين السبب الذي لأجله فعل ذلك.

قال رسول الله ﷺ : خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فقليل له: فما بعد هذه القرون التي ذكرت فأوماً بيده يعني لا شيء"(\*)

ألا ترى الإمام مالك - رحمه الله - إذ قال في موطنه، وعلى هذا أدركت الناس وما رأيت الناس فإنما يعني العلماء، فالناس عندهم هم العلماء، فالحديث من باب أولى أن يحمل على العلماء العاملين ليس إلا في ذلك الزمان المخصوص المشار إليه من صاحب العصمة بالخير ﷺ أنظر إلى حكمة الشارع صلوات الله وسلامه عليه في هذه القرون وكيف خصهم بالفضيلة دون غيرهم، وقد كان مالك رحمه الله إذا شك في الحديث تركه ألبتة فلا يحدث به، وهوليس من قرنهم بل من القرن الثاني فما بالك بهم وهو خير الخيار" (١).

من هذا النص يجب على المعلم القراءة في التراث التربوي الإسلامي للاقتداء بالسلف الصالح في معاملتهم للتلاميذ وحضهم على الفضائل والأخلاق والآداب ليقف عليها ويتحلى بها وينقلها إلى تلاميذه لينصلح أمر دينهم وديناهم.

ز- أن يتحفظ من طلب التزكية والنوعت :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يتحلى العالم بصفة التواضع فيحتفظ من التزكية بالصفات المخالفة للشرع وأن يرشد تلاميذه إلى عدم التعلق بها وطلبها وفي هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج:

(\*) الحارث، مرجع سابق، ج(٢)، ص ٩٤٠، بلفظ "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي قوم تسبق إيمانهم شهادتهم وشهادتهم إيمانهم".  
(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ٨٢: ٨٣.

"ينبغي للعالم أن يتحفظ عما اصطَلحوا عليه من تسميتهم بهذه الأسماء القريبة العهد بالحدوث التي لم تكن لأحدٍ ممن مضى، بل هي مخالفةٌ للشرع الشريف، وهي فلان الدين كزكى الدين ومحبي الدين وعلم الدين، والعالم أولى من يتحفظ على نفسه من هذه الأشياء ويذب عن السنة في حق نفسه وفي حق غيره، فإذا نطق بهذه الأسماء نهاه برفق وتلطف به في التعليم تنبيهه بما في التزكية من النهي . فقد قال الله تعالى :

﴿... فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ (١)

وقوله ﷺ : " لا تزكوا على الله أحداً ولكن قولوا أخاله كذا وإظنه كذا" (\*)(٢).

ومن هذا النص يجب على المعلم عدم استخدام أسماء التزكية في نفسه ومع طالبته لأنها لم تكن من شرع من مضى فيمثل أمر الله سبحانه وتعالى فلا يزكى أحداً وعدم تزكية نفسه من باب أولى وأحرى له لأنه قدوةٌ لتلاميذه في كلامه وحركاته وسكناته وتعليمه وتعلمه.

(٢) أدبيات المعلم في مجلسه :

يقصد بها مجموعة الأدبيات والسلوكيات والاتجاهات التي يطلب من المعلم الالتزام بها في مجلسه أثناء عرض درسه.

وفيما يلي عرض لأدبيات المعلم المالكية في مجلسه :

● أدبيات المعلم تجاه البحث العلمي :

رسم فقهاء المالكية منهجاً متكاملًا للبحث العلمي يقوم على مجموعة من الأصول والقواعد، من أهمها:

(١) سورة النجم : من الآية ٣٢ .

(\* البخارى، صحيح البخارى، مرجع سابق، ج(٢)، ص٩٤٦. بنظر "من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة فليقتل أحب فلاناً والله حسبه ولا أزكى على الله أحداً أحبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك".

(٢) المرجع السابق، م(١)، ج(١)، ص١٢٩.

أ - أن يكون جلوس المعلم لإصابة الحق والصواب :

يؤكد فقهاء المالكية على العالم أن يقصد بجلوسه في درسه إصابة الصواب فتكون الحقيقة هي ضالته التي يبحث عنها فأين وجدها انتصر لها.

يذكر الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم أن تكون نيته حين جلوسه لإصابة الحق والصواب على لسان من خلق الله ذلك قبله ويسر به ولا يختار بنيته أن يكون هو الذي يأتي بالصواب في كل درسه ليس إلا بل يختار الحق والصواب ولا يعين جهةً لأن النبي ﷺ قال : لا يبلغ أحدٌ حقيقة الإيمان حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه" (\*)

والعالم أولى من يأخذ بحقيقة الإيمان لأنه إذا لم يأخذ به من يعرفه فكيف يأخذ به من يجهله بل الناس مطالبون بتصرف هذا العالم في الاقتداء به فكما لا يختار لنفسه ولا يحب لها أن تتكلم إلا بالحق والصواب فكذلك في حق إخوانه المؤمنين سواء لا فرق بينهما فيمثل هذا في حق نفسه ويرشد غيره، إليه وينبه عليه" (١).

من هذا النص فإن الإمام ابن الحاج يرسى مبدئاً تربوياً هاماً وهو "تحرى الحقيقة وإكبارها إلى أقصى حد، على أساس أنها الغاية المرجوة لا في التعليم والتعلم والبحث فقط بل في الحياة بأجمعها، فواجب المعلم أن يذكر الحاضرين -تلاميذه- بما جاء في كراهية المماراه ولا سيما بعد ظهور الحق، وأن يزجر من تعدى في بحثه أو ترك الإنصاف بعد ظهور الحق" (٢).

فعلى المعلم توضيح الحقيقة والاستدلال عليها بالشواهد والآثار وينسب ذلك لأهله فلا ينقصهم فضلهم بنسب هذا إلى نفسه.

(\*) البخارى، صحيح البخارى، مرجع سابق، ج(١)، ص ١٤، بلفظ "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".  
(١) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٢٦.  
(٢) حسن إبراهيم عبد العال، فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة (٦٣٩هـ-٧٣٣هـ) كما يبدو في كتابه "تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم"، (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٥)، ص ١٤٢.

ب - أن يأخذ بمآخذ العلم في إيراد المسألة بالرجوع إلى قواعدها وأدلتها :  
يؤكد فقهاء المالكية على أهمية أن يورد العالم الشواهد والأدلة التي تثبت صدق رأيه فيما يُعرض له من مسائل العلم، فيذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغي للعالم بل يجب عليه أن ينظر إلى مأخذ العالم المسألة وتجويده إياها من أين اخترعها وكيفية إجازته لها؛ لأن هذا الدين والحمد لله محفوظ فلا يمكن أن يقول أحداً فيه قولاً ويتركه بغير دليل، ولو فعل ذلك أحد لم يقبل منه، وهو مردودٌ عليه إلا أن تكون قواعد الشرع تشهد بصحته فيرجع للقواعد والدلائل القائمة، ويكون قول هذا العالم بياناً وتفهماً وبسطاً للقواعد والدلائل، وإن أتى على ما يقول بدليل فينظر في الدليل، فإن كان موافقاً قبل وكان له أجران أجر الاجتهاد وأجر الإصابتة وإن كان مخالفاً لم يقبل وكان له أجر واحد وهو أجر الاجتهاد، وقد كان مالك رحمه الله لا يأتي بمسألة إلا ويأتي بمآخذها ودليلها فيسندها إلى الكتاب العزيز أو حديث النبي ﷺ أو إلى إجماع أو إلى أقوال العلماء أو فتاويهم أو أحكامهم"<sup>(١)</sup>.

ومن هذا النص يوجه ابن الحاج نداءً لمعلم العلوم الدينية والشرعية الحديثة والفقهاء "أن يكثر من الإمعان والغوص في المعاني وتجريدها من محسوساتها وإطلاق أحكامها بشكل قوانين عامة"<sup>(٢)</sup> ومدارسة مسائل العلم وإيراد الأدلة النقلية والعقلية على ما يقع له من مسائل العلم وفي نفس الوقت "يكون مجيداً للعلم الذي يدرسه وأن يجيد توصيله لعقول الآخرين"<sup>(٣)</sup> مشجعاً تلاميذه على الاستدلال للمسائل والاجتهاد ببيان آلياته ووسائله وتوضيح فضل الاجتهاد في الدين.

(١) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٦٤.

(٢) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرقي، (بيروت: دار اقرأ، ١٩٨٤)، ص ٧٨.

(٣) محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص ١٨٠.

ج - عدم التعصب في العلم :

يؤكد فقهاء المالكية على أهمية أن ينتصر العالم لمذهبه بشرط عدم التعصب لمذهبه على حساب الحق والحقيقة فيكون كالسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين وكبار العلماء يأخذون من المذهب ما يوافق كتاب الله والصحيح من سنة نبيه ﷺ .

يذكر الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم أن يوجه مذهبه ويتصرله، وذلك بشرط التحفظ على منصب غير إمامه أن ينسب إليه ما ينسب بعض المتعصبين من الغلط والوهم لغير إمامه فإن كنت على مذهب مالك مثلاً فلا يدخلك غضاضةً لمذهب الشافعي أو غيره؛ من الأئمة رضى الله عنهم لأنهم الكل جعلهم الله رحمةً لك لأنهم أطباء دينك كلما أعوج أمرٌ في الدين قوموا، وكلما وقع لك خللٌ في دينك اتفق الكل على زهابه عنك وإصلاح أمرك ومثال ذلك قول مالك رحمه الله لما أن سئل عن أبي حنيفة فقال رأيت رجلاً لو أراد أن يستدل على هذا العمود أنه من ذهب لفعل فيكون قلبك واعتقادك مع لسانك مخالفاً لهم ومعظماً ومحترماً وإن كنت قد خالفتهم بالرجوع إلى إمامك في بعض الفرع فإنك لم تخالفهم في أكثر الفرع فالأصول قد جمعت والحمد لله، وجواب مالك رحمه الله للخليفة لما أن أرد أن يكتب إلى الأقاليم بكتاب الموطأ وبالأمر أن لا يقرأ أحدٌ إلا آياه فقال له مالك لا تفعل يا أمير المؤمنين فإن أصحاب النبي ﷺ قد تفرقوا في الأقاليم وقد أخذ الناس عنهم مع اعتقاده فيما ذهب إليه أنه الأولى والأرجح" على مقتضى الأصول والنظر فلم يطعن على ما ذهب إليه غيره؛ ولم يعبه ولم يقل الأولى أن يرجع إلى ما رأيت فيكون هذا العالم يتأسى بهذا الإمام في التسليم لمذهب الناس في الفرع والأحكام مع اعتقاده الصواب فيما ذهب إليه دون تغليظ غيره، أو توهيمه"<sup>(١)</sup>.

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٢٣:١٢٢.

ومن هذا النص يجب على المعلم أن يرشد تلاميذه إلى "التفكير العلمي والبحث عن الدليل والبرهان فيناقش ويحاور ويرد ويستمع، حتى يهتدى إلى الحق والصواب"<sup>(١)</sup>؛ "وأن يربى فيهم ملكة الاجتهاد والنظر لا مجرد التقليد والتسليم حتى ينشأ مستقلاً لا نسخة من معلمه"<sup>(٢)</sup> "لأن الاجتهاد إذا كان جائزاً في الأمور الشرعية، فإن جواز؛ في الأمور العقلية من باب أولى"<sup>(٣)</sup>، وتربية طلبته على عدم التعصب في العلم بل التماس الأدلة والبراهين والاستدلال بالشواهد والآثار لإصابة الحقيقة.

د - أن يكون مهيباً ومستعداً لإجابة مسائل العلم :

يؤكد فقهاء المالكية أهمية أن يكون العالم مهيباً لشرح وعرض وتوضيح مسائل العلم وعملية التدريس فلا يتبرم من الإلحاح عليه فيها ويذكر الإمام ابن الحاج:  
"ينبغي للعالم بل يجب عليه أن لا يجحد وأن لا ينزعج عند إيراد المسائل عليه والإكثار منها والإلحاح عليه بها لأن الانزعاج ليس من شيم العلماء ولا من أخلاقهم فيحذر من هذا في نفسه وفي مجلسه"<sup>(٤)</sup>.

ينبه فقهاء المالكية المعلم إلى سعة صدره لإيمانهم بصعوبة مهنة التدريس فوجب على المعلم أن يكون "نافذ البصيرة حريص على الازدياد بملازمة الجد والاجتهاد والاشتغال قراءة وإقراء ومطالعة وتعليقاً وحفظاً وبحثاً، ولا يضيع شيئاً من أوقات عمره في غير ما هو بصدده من العلم"<sup>(٥)</sup>، حتى يتمكن من إجابة أسئلة الطالبين والمستفتين من عامة الناس وطلاب العلم.

(١) علي عبد الحليم محمود، التربية العقلية، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٢) أحمد علي الفيش، أصول التربية، ط(٥)، (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥) ص ١٩٠.

(٣) علي عبد الحليم محمود، التربية العقلية، مرجع سابق، ص ٥٧.

(٤) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٢٦.

(٥) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ١١٠: ٢١٩.

• أدبيات المعلم تجاه الصحة النفسية لطلابه :

يؤكد فقهاء المالكية أهمية أن يجنب العالم طلابه من آفات النفس واللسان في مجلسه فيعالجها برفق تلتطف لتتحقق الصحة النفسية التي لا نقل عن عنايته بالصحة العقلية لديهم.

وتحقيق الصحة النفسية يقوم على مجموعة من القواعد والإجراءات التي يجب عليه أن يتبعها في مجلسه فمن أهمها:

أ - ألا يسمع من ينم في مجلسه:

النميمة "من صفات النفس الذميمة وذلك فقد قاتل الله النمام الذي قد اجتمعت فيه الخسة والدناءة ومعظم الصفات المنزولة لأنه لا يبالي أن ينقل الكذب فهو من زمرة الكاذبين ولا ينفك عن الغيبة لأن النميمة غالباً يصحبها ذكر العيوب ولا ينفك عن الغدر والخيانة والحقد والحسد والتملق والنفاق والإفساد بين الناس والقضاء على سمعة إخوانه وكرا متهم وأموالهم وأعراضهم ومن كان كذلك فهو من شر خلق الله يسعون في الأرض فساداً. ومن أجل ذلك كانت النميمة من الكبائر في نظر الدين الإسلامي وقد حرمها الله تعالى بقوله :

﴿ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاْفٍ مَّهِينٍ ﴿١١﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١٢﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٣﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ (١)

وخطورة هذه العادة المذمومة وتأثيرها النفسى على الطلاب فقد نبه فقهاء المالكية

العالم ليحذر أن تقع في مجلسه فيذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغي للعالم أن لا يسمع من ينمّ عنده، وكذلك من ينقل أخبار الناس وما جرى لهم مما لا يترتب عليه فائدة شرعية؛ لأن للشيطان في هذا الباب مجالاً كبيراً؛ لأنه لا يأتى لأحدٍ إلا من الباب الذى يعلم أنه يُقبل منه فلا يمكنه أن يأتى للعالم، أو العابد فيوسوس له

(١) سورة القم : الآية من ١١ : ١٣ ؛ عبد الرحمن الجزيرى، مرجع سابق، ج(١)، ص ١٢٢ : ١٣٥.

بالزنا، أو شرب الخمر؛ لأنه قد أيس أن يقبل ذلك منه ولكنه يأتي بذكر شخص غائب فيذكر بخبر فيقوم بعض من حضره ويستتتى بقوله: إلا أن فيه كذا أو أنه كذا، فيترتب الإثم على جميع من حضره" (١).

من النص السابق يجب على المعلم التنبيه لهذا الداء النفسى الخبيث أن يتسرب إلى تلاميذه فعليه أن يبادر بتخليص طلابه منه وتغيير أخلاقهم وتعديل سلوكهم فتصفو نفوسهم ويتهيئوا لاستقبال ما يلقيه عليهم من مسائل العلم ونحوه.

ب - أن يتحفظ على نفسه ومن حضره من الغيبة :

يُحَدِّثُ فقهاء المالكية العالم ومن حضره من الغيبة التي لا تقل في زمامتها وتبجحها عن النسيمة، وقد قال بعض السلف الصالح "لأن أدع الغيبة أحبُّ إلى من أن يكون لي الدنيا منذ خلقت إلى أن تفنى، فأجعلها في سبيل الله، ثم تلا قوله تعالى :  
﴿...وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا...﴾ (٢)

فيذكر الإمام ابن الحاج "يجب على العالم أن يتحرز على نفسه وعلى من حضره من الغيبة؛ لأنها مصيبة عظيمة في الدين .

قال رسول الله ﷺ : لا يبلغني أحدٌ عن أحدٍ من أصحابي شيئاً فإنى أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر" (\*).

وروى عن أبي هريرة قال : قيل يا رسول ما الغيبة قال: ذكرك أخاك بما يكره، فقال له رجلٌ رأيت إن كان في أخى ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد أعتبه وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته" (\*\*).

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص٩٩.

(٢) سورة الحجرات : من الآية ١٢ . محد أحمد إسماعيل المقدم، الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، (القاهرة: دار العتيقة للتراث، ١٩٩٨)، ص٧٠.

(\*) أحمد بن حنبل مرجع سابق، ج(٢)، ص٣٩٥. بلفظ "لا يبلغني أحد عن أحد أصحابي شيئاً فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر".

(\*\*) مسلم، مرجع سابق، ج(٤)، ص٢٠٠١. بلفظ "أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل فرأيت إن كان في أخى ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد أعتبه وإن لم يكن فيه فقد بهته".

وقد اجتمع أبا محمد رحمه الله وجماعة من المباركين بتونس فلما أن أرادوا الطعام أبطأ واحدٌ منهم فسألوه عنه فقال قائلٌ منهم ما زلت عادته هكذا، فقام حسن الزبيدي رحمه الله وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون اليوم لى سنهُ لم اسمع غيبةً فسمعتوها لى اليوم، والله لا أقعد فى هذا المجلس وخرج من حينه ولم يتناول شيئاً<sup>(١)</sup>.

من النص السابق وجب على المعلم أن لا يسمع إلى من يغتاب فى مجلسه فعليه أن يرشده وينصحه بلطفٍ فإن لم ينته زجره، وإلا طرده من مجلس العلم لما فيه من الحرمة والنهى .

وقد قال الإمام النووي رحمه الله: " اعلم أنه ينبغى لمن سمع غيبه مسلم أن يردها، ويزجر قائلها، فإن لم يزجر بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد ولا باللسان فارق ذلك المجلس، فإن سمع غيبة شيخه أو غيره، ممن له عليه حق، أو من أهل الفضل والصلاح، كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر"<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان ذلك فى المجالس العامة ففى مجلس العلم أولى وأحرى فيجب "على المعلمين أن يقفوا أولاً على تلك الأخلاق المردولة، وهذه الأدواء النفسية الخبيثة"<sup>(٣)</sup> ثم يتابعوها لتخليص التلاميذ من شرها وإنصاف حق المغتاب لقوله ﷺ: من ردّ عن عرض أخيه، "رد الله عن وجهه النار يوم القيامة"<sup>(\*)</sup>.

ج- أن يتحفظ من الكذب فى مجلسه :

"الكذب يقبح لما يتعلق به من المضار الحاصلة منه، فالداعى إلى الكذب محبة النفع الدنيوى وحب التراس وذلك أن المخبر يرى أن له فضلاً على المخبر بما علمه فهو يتشبه بالعالم الفاضل فى ذلك فيظن أنه يجلب بما يقوله فضيلةً ومسرّةً وهو يجلب به نقيصةً

(١) ابن الحاج العبرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) محمد أحمد إسماعيل المقدام، مرجع سابق، ص ٨٣.

(٣) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(\*) الترمذى، سنن الترمذى، مرجع سابق، ج(٤)، ص ٣٢٧.

وفضيحةً، ففضيحة كذبةٍ واحدةٍ لا توازي مسرات دهره، فالكذب عارٌ دائمٌ وذلٌ دائمٌ، وحق الإنسان أن يتحرى الصدق ويتعوّده ولا يترخص في أدنى كذب فمن استحلّاه عسر عليه فطامه" (١).

ولغضاضة هذه العادة نبه فقهاء المالكية العالم من أن يقع ذلك في مجلس درسه وهو بين يدي طلابه فيذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغي للعالم أن يتحرز من الكذب أن يقع في مجلسه، فإن وقع فلينقم على فاعل ذلك، أو يمنعه من حضور المجلس حتى يتوب إلى الله تعالى ويقنع على ما سبق من مراتب الإنكار وشروطه، وإن لم يقدر على الإنكار إلا بقلبه قام وتركه، ولا يكون منكراً بقلبه إن قعد، ويأثم إلا أن يعجز عن الخروج لضرورة شرعية ويجرى هذا في جميع المعاصي حتى في مجلسه من يلبس الديباج ويتختم بالذهب أو الفضة والجلوس في مسجد يسيئ الناس الصلاة فيه فلا يتمون الركوع والسجود، الجلوس في مجلس وعظ فيه ذكر البدعة، أو في مجلس مناظرة، أو مجادلةٍ يجري فيه الأذى أو الأبحاث بالسفه والشتم" (٢).

ومن هذا النص يرسى الإمام ابن الحاج ضرورة أخذ المعلم بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجلس العلم فمن الأمور المستفادة من هذا النص:

**أولاً:** شدة اهتمام المعلم بإبعاد هذه الصفة الذميمة عن تلاميذه.

**ثانياً:** استخدام أسلوب التوبيخ والتعنيف عند رؤيته اتصاف تلاميذه بالكذب.

**ثالثاً:** سعى المعلم إلى تغيير المنكر بالقلب وذلك في حالة عدم قدرته على الخروج من المجلس لضرورة شرعية تخصه.

**رابعاً:** عدم اقتصار المعلم على تغيير المنكر فقط بل أهتم بعلاجه وذلك بتوجيه وإرشاد فاعله إلى التوبة إلى الله سبحانه وتعالى للإقلاع عنه.

(١) الراغب الأصفهاني، الزريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، (القاهرة: دار الصحوة، ١٩٨٥م) ص ٢٧٢: ٢٧٥.

(٢) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ٢٠٢.

لذلك يجب على المعلم أن يتدرج في علاج حالات سوء الأدب من تلاميذه متحلياً بالصبر والهدوء والاتزان النفسى "فمن واجب المعلم نحو تلاميذه الصبر على جفاء ربما وقع منه، ونقص لا يكاد يخلو الإنسان عنه، وسوء أدب في بعض الأحيان، ويبسط عذره بحسب الإمكان، ويوقفه مع ذلك على ما صدر منه ينصح وتلطف لا بتعنيف وتعسف، قاصداً بذلك حسن تربيته وتحسين خلقه" (١) وذلك لأن "التعليم فى الإسلام رسالة قبل أن يكون مهنة فال معلم حامل الرسالة وأن همه الرئيسى هو إبلاغ المتعلم إلى كماله الإنسانى فمهمته تتعدى مجرد التعليم إلى النصح والإرشاد وتقويم السلوك" (٢) لتحقيق الصحة النفسية السوية لدى تلاميذه.

د - أن يتحفظ من الرياء والمداهنة فى مجلسه :

الرياء والمداهنة من الأدواء النفسية الخطيرة لأن "الرياء حرام، والمرأى عند الله ممقوت، وهو كمن يعتقد كفراً أو بدعة وهو يظهر خلافه" (٣) فهو "من الأمراض النفسية الخطيرة والأوباء الأخلاقية الضارة التى تحتاج إلى علاج دائم ويقظة مستمرة فلا يصح للمرء أن يغفل أمره، حتى يستفحل شره، ويتفاقم خطره، ويصبح داءً مستعصياً يحبط الأعمال ويعرض صاحبه للشرك بالله الواحد القهار" (٤).

وتنبه فقهاء المالكية إلى عظم خطر هذا الداء النفسى وأكدوا على العالم ضرورة أن يتحرن منه فى نفسه وفيمن حضر مجلس درسه من تلاميذه فيذكر الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم أن يتحرن فى نفسه بالفعل وفيمن جالسه بالقول من هذه البدعة، وهى محبة القيام وفعله والانحناء والركوع والكذب بالألفاظ التى اصطلحوها عليها فيما بينهم

(١) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ١٣٨.  
 (٢) أحمد عرفات القاضى، الفكر التربوى عند المتكلمين المسلمين، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م)، ص ٤١٧.  
 (٣) محمد على قراعة، مرجع سابق، ص ١٧٠.  
 (٤) عبد الرحمن الجزيرى، مرجع سابق، ج (١)، ص ٦٩.

من التزكية والتملق وتكرار ذلك والمداهنة، وهو أن يظهر كل واحدٍ منهم خلاف ما يبطن والتكبر بذلك والاحتقار لمن لا يقيم له والرياء بالقيام" (١).

من النص السابق فالمعلم مطالب باجتناّب رزّئل وعيوب وأمراض وآفات النفس المتمثلة في الرياء والمداهنة وحب الرياسة والجاه "فليس ذلك عرف المؤمنين أبداً، ولا سمتهم الذي ورثناه، إنما ورثنا الحياء، وعفاف اللسان، واحترام الكبير، وجمال اللفظ والاستغفار للذين سبقونا بالإيمان، وتكرار الدعاء" (٢) لا التعلق والمداهنة التي "تغتال فضائل المجالس الإيمانية اغتيالاً" (٣) فالمعلم مطالب بتجنّيب طلابه هذه الداءات النفسية الخطيرة وذلك لعظم مفسدها وعموم بلواها.

هـ - أن يتحفظ من الكبر والعجب (\*) والخيلاء

"من أفضل آداب العالم تواضعه، وترك الاعجاب بعلمه، ونبذ حب الرياسة عنه وريينا عن أيوب السخيتاني أنه قال: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لله وعن كعب أنه قال لرجل رآه: تبتع الأحاديث، اتق الله وأرض بالدون من المجلس، ولا تؤذ أحداً. فإنه لو ملأ علمك ما بين السماء والأرض مع العجب ما زدك الله به إلا سفلاً ونقصاناً" (٤).

ولذلك يحذر فقهاء المالكية العلماء من الكبر والعجب والخيلاء فيذكر ابن الحاج "ينبغي للعالم أن يتحفظ على نفسه من مشى الناس معه ومن خلفه ومن وطء عقبه وتقديمهم نعله واتكائه على أحدٍ إلا لضرورةٍ شرعيةٍ فإن هذا كله مثار؛ من الكبر والخيلاء

(١) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٦٤.

(٢) محمد أحمد إسماعيل المقدم، مرجع سابق، ص ٣٠٣: ٣٠٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٠٣.

(\*) العجب: ظن الإنسان في نفسه استحقاق منزلة هو غير مستحق له (الراغب الأصفهاني، الزريعة إلى مكارم الشريعة، مرجع سابق، ص ٣٠٦).

(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، قدم له عبد الكريم الخطيب، ط(٢)، (القاهرة: دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٢م)، ص ٢٢٣: ٢٢٥.

وقرة النفس غالباً وإن كان في نفسه متواضعاً لكن ظاهر هذه الأفعال تنافي ذلك وتجر إلى المذموم .

فقد قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام : أضر ما على الإنسان وطء عقبه أو كما قال ووطء العقب هو المشي خلفه" (١).

من هذا النص يهتم فقهاء المالكية بالصحة النفسية للمعلم لأنه محور العملية التعليمية فينبهوه؛ إلى خطورة داء الكبر والعجب وضررهما اتصافه بالتواضع والاتزان الانفعالي حتى يتمكن من نقل ذلك لتلاميذه فيجب على المعلم "أن يطهر باطنه وظاهره من الأخلاق الرديئة ويعمره بالأخلاق المرضية" (٢).

"فالتكبر على خلق الله من شر الرذائل وأسوأ الصفات لأنه يستلزم مظالم شائنة وجرائم ممقوتة" (٣).

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكبر فقال عليه الصلاة والسلام "لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من نفاقٍ . ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء" (\*).

ولا يتحقق الاتزان الانفعالي للمعلم إلا بتركه للعجب والكبر وذلك لأن "العجب يدعو إلى الكبر، ويدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، وما يتذكر منها فيستصغر؛ ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له .

قال الله تعالى :

﴿سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾ (٤)

(١) ابن الحاج العيبرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، صص ٢٠٢.

(٢) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٣) عبد الرحمن الجزيري، مرجع سابق، ص ١٥١.

(\* مسلم، مرجع سابق، ج(١)، ص ٩٣. بلفظ "لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه حبة خردل من إيمان".

(٤) سورة الأعراف : من الآية ١٤٦ ، محد على قراعة، مرجع سابق، ص ١٥٦.

و - أن يتحلى بالأخلاق الحسنة الكريمة :

من أهم آليات عملية التدريس للمحافظة على الصحة النفسية للطلاب تحلى المعلم بصفات " الحلم والصفح والعفو والتمسك بالأخلاق الكريمة إذ أن الخلق السيئ يبعد المتعلم عن العلم الحقيقي النافع<sup>(١)</sup>.

وقد أكد فقهاء المالكية على ضرورة تحلى المعلم بمكارم الأخلاق حتى يُقبل التلاميذ على عملية التعليم ويشعرون بالأمن والطمأنينة فى تحصيل العلوم النافعة فيذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغي للعالم أن لا ينزعج على ما آذاه ويجاهد نفسه لترتاض فيحسن له بالعفو والصفح. وكذلك لا يؤخذ من تسلط عليه بالأذية وقلة الأدب ويواجهه بما يواجهه به غيره؛ من المحبين والمعتقدين من طيب القول وحسن العبارة، وعدم الجفاء تقريباً بذلك إلى ربه عز وجل، ولا يقابل الشر بمثله؛ لأن من شيم العلماء الحلم والإقالة والصفح والعفو.

فمحمد بن سحنون رحمه الله وكان قاضى بلاد إفريقية إذا قعد لأخذ الدريس أتاه إنسان يتخطى رقاب الناس حتى يصل إليه فيحدثه فى أذنه ساعة، ثم ينصرف، فبقى كذلك مدة، وكان إذا أقبل يقول القاضى لجماعته أفسحوا له فيأتى ويفعل العادة، ثم انقطع بعد ذلك مدة فسأل عنه من حضره فقالوا لا نعرف خبره، فقال أطلبوه، فإذا وجدتموه فأتوني به فوجدوه، فأتوا به إليه فأخذه وخلا به وقال له ما منعك من عادتك فقال له يا سيدى لى بنات قد كبرن واحتجن إلى التزويج وأنا فقير فقال لى بعض الناس إن أغضبت فلاناً فنحن نزيل فرك ونجهز بناتك، فبقيت تلك المدة أجيء إليك فأقذفك واشتمك وأفعل ما قد رأيت لعلك تغضب يوماً ما ليحصل لى ما اتفقوا عليه فلما أيست من غضبك تركت ذلك إذ لا فائدة فيه فقال له لو أخبرتنى كنت أقوم لك بضررتك"<sup>(٢)</sup>.

(١) عزت جرادات وآخرون، مرجع سابق، ص ٩٥.

(٢) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٩٧: ١٩٨.

من هذا النص يجب على المعلمين "التحلى بالآداب الفاضلة، والأخلاق الحميدة"<sup>(١)</sup>. لأن "المعلم هو المخول بإزالة الأخلاق السيئة واستبدالها بإخلاق حميدة ليسير المتعلم على طريق الآخرة المؤدية إلى الله سبحانه وتعالى"<sup>(٢)</sup>. فالمعلم "نموذجٌ وقُدوةٌ يهتدى به الناس الذين أدركوا دوره التربوي ومرجعهم في حل مشاكلهم وقضاياهم وما يحدث لهم من أمور حياتهم فيكون العلماء حريصين على تطبيق الدين كسلوكٍ واقعي في حياة الناس وذلك لأنهم أدركوا حقيقة الدين كعقيدة حيوية تشكل سلوك البشر، وتساهم في بناء واقعهم الاجتماعي"<sup>(٣)</sup>. فواجب المعلم "ليس تزويد تلاميذه بالمعارف المختلفة فحسب بل إكسابهم حسن الخلق وكريم الأدب، ولن يستطيع المعلم ذلك ما لم يكن أهلاً لكل خصلة حميدة، وكما هو معروف فاقد الشيء لا يعطيه .

فقد قال السلف الصالح: كانوا يتعلمون الهدى كما يتعلمون العلم، فالمعلم بغير الأدب يضيع أثره، ويفقد قيمته"<sup>(٤)</sup>. وقال الإمام مالك "كانت أمي تعممني، وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه"<sup>(٥)</sup>.

#### ز - المبادرة بإداء العبادات :

المعلم قدوة لتلاميذه فيلزم أن يكون من أهم صفاته "الاستقامة على شرائع الإسلام وأدائها ضمن جماعة المسلمين، إنما يحقق فيها تلك القدوة الظاهرة أمام الطلاب، وبذلك يرى الطالب معلمه بسلوكه العبادي خارج الصف التعليمي كما يراه بسلوكه التعليمي التربوي داخل الصف الدراسي"<sup>(٦)</sup>.

(١) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٢) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند الإمام الغزالي، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٣) أحمد عرفات القاضي، مرجع سابق، ص ٤١٩.

(٤) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ١٢٤.

(٥) محمد أحمد إسماعيل المقدم، مرجع سابق، ص ١٤١.

(٦) يوسف محمد النجار، مرجع سابق، ص ٢٩.

ويذكر الإمام ابن الحاج "إذا حضرت صلاة الفرض فإن كان العالم مشتغلاً بإلقاء العلم إذ ذاك فليترك كل ما هو فيه هو وجلساً؛ ويشتغلون به، وهذا المراد بقول القائل ما هو فرض يترك لفرض فيقال هو طلب العلم يترك لأداء الصلاة"<sup>(١)</sup>.

فمن النص السابق يتجلى حرص فقهاء المالكية على ظهور المعلم كنموذج وقدوة للمحافظة على الصحة النفسية لدى تلاميذه "بسلوكه العام وتعريفاته في المواقف المختلفة بدوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن والمحافظة على خوفه في جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله فإنه أمينٌ على ما أودع من العلوم وما منح من الحواس والفهوم بمحافظته على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام فيقدم النموذج الطيب الذي يدفع تلاميذه إلى التحلى بكريم الصفات وجميل الأخلاق ويراعى في العلم والدين عاداته وعباداته، فقد ثبت أن الناس لديهم حاجة نفسية إلى أن يشبهوا الأشخاص الذين يحبهم ويقدرهم"<sup>(٢)</sup>.

فالغرض من التربية الإسلامية "التقرب إلى الله بالعلم والمعرفة"<sup>(٣)</sup>.

فإقامة شرائع الدين والمحافظة عليها تتحقق في التلاميذ الصحة النفسية والالتزام الانفعالي لأنهم يرون ما يأمرهم به المعلم من الأخلاق الكريمة وتباع الشرع الشريف ظاهراً بيناً في سلوكه.

#### • أدبيات المعلم في إدارة المحاضرة وإلقاء الدروس :

ويقصد بها مجموعة المهارات والقدرات التي تتطلب من المعلم الالتزام بها أثناء عرضه ومناقشته لمسائل العلم وهي كالاتى:

(١) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ٢٠٥.  
(٢) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ١٢٣ : ١٢٨.  
(٣) عزت جرادات وآخرون، مرجع سابق، ص ٩٣.

أ - أن يتهميا لإلقاء الدرس بذكر الله تعالى والاستعاذة من الشيطان الرجيم :  
يهتم فقهاء المالكية بإعداد المدرس وتهيئته لإلقاء درسه لنشر العلم وبذله لأهله  
ابتغاء وجه الله تعالى فيترجم ذلك إلى سلوك عملي يذكر الله تعالى في بداية شروعه لإلقاء  
درسه فيذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغي للعالم أن يجمع همته وخاطره عند قراءة القارئ فإذا فرغ القارئ استفتح هو  
الإقراء فيستعيد إذ ذاك من الشيطان الرجيم لكي يكفى شره في مجلسه ذلك ثم يسمي الله  
تعالى لكي يعتزله الشيطان لأن كل شيء سمي الله تعالى في ابتدائه عزل منه الشيطان  
وحرم عليه حضوره ثم يصلى على النبي ﷺ لتحصيل البركة في مجلسه لأن البركة معه عليه  
الصلاة والسلام حيث ذكرت وحيث كان ثم يترضى عن أصحابه لتكتمل بذلك البركة في  
مجلسه لأنهم الأصل الذين أسسوا ما جلس إليه ثم يجعل الحول والقوة لله تعالى بقوله :  
"لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" يقولها ثلاث مرات وإن قدر أن يكون سبعاً  
كان أحسن كذلك كان المحققون من العلماء يفعلون ذلك ثم يسند أمره إلى الله تعالى  
ويتوكل عليه في تسديده وتوثيقه ويفتقر في ذلك ويضطر إليه لقوله تعالى :

﴿ أَمَّنْ تَجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ ... ﴾ (١)

ويتعرى إذ ذاك من فهمه وذهنه ومطالعتة وبحثه، وأنه الآن كان لا يعرف شيئاً فإن  
فتح الله عليه بشيءٍ إذ ذاك كان من الله تعالى فتحاً منه وكرماً لا لأجل ما تقدم من  
محاولة المطالعة والدرس والفهم ثم يستخير بربه من عشرات اللسان ومن نزعات الشيطان  
ومن الخطأ والذلل ثم يتكلم بما تحصل عنده من العلم في تلك المسألة التي قرأ القارئ ويذكر  
ما ذكر العلماء فيها ويوجه أقوالهم ويرد ما ذهبوا إليه إلى أصولهم التي استخرجوا الأحكام  
منها، وهو الكتاب والسنة فيكون في أثناء ذكره للعلماء يترضى عنهم ويترحم عليهم ويُعرف  
من يحضره بقدرهم وفضلهم وحق سبقهم" (٢).

(١) سورة النمل : من الآية ٦٢ .

(٢) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٢١ : ١٢٢ .

من هذا النص يرسم الإمام ابن الحاج منهجاً دينياً وشرعياً بحتاً عند جلوس المعلم لإلقاء مسائل العلم، وقد قال حبيب بن أبي ثابت "إن من السنة إذا حدث الرجل القوم أن يقبل عليهم جميعاً، ويفتح مجلسه ويختمه بتحميد الله تعالى، والصلاة على النبي ﷺ ودعاء يليق بالحال بعد قراءة قارئ حسن الصوت شيئاً من القرآن العظيم<sup>(١)</sup>، ويضاف إلى هذه الآداب أن يكون المعلم مستقبلاً القبلة لقوله ﷺ "أن لكل شيء شرفاً وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة"<sup>(\*)</sup>.

"وإن مثل هذا الإعداد بما يشتمل عليه من حسن النية وصدق الدافع في التعليم والاستناد إلى حول الله والاعتماد على قوته، وطلب التثبيت والتوفيق والإعانة والعصمة منه، من شأنه أن يجعل المعلم يستشعر قيمة عمله ويحسن بالمتعة في ممارسته، وتزداد ثقته في نفسه واطمئنانياً إلى قدراته، فلا يمثل التدريس حينئذ عملاً يتكسب منه، وإنما هو عبادة لله يثاب عليها"<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا فقد نبه فقهاء المالكية على ضرورة امتثال السنة عند إلقاء مسائل المعلم لإدراكهم بخطورة وأهمية مهنة التدريس والإفتاء وفضل العلم والتعليم.

ب- أن يخلص النية في تعليم أحكام الله سبحانه وتعالى .

يؤكد فقهاء المالكية على أهمية إخلاص نية العالم عند جلوسه لإلقاء الدرس ليعلم أحكام وأوامر الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ .

ويورد الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم إذا قعد في مجلس العلم أن يخلص نيته لله تعالى لتعليم أحكام ربه وتعليمها لعله يدخل في عموم قوله ﷺ :

(١) جمال الدين القاسمي، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

(\*) أبو شيبعة، مرجع سابق، ج(٥)، ص ٢٦٥.

(٢) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ٢١٩.

من صلى الفريضة ثم قعد يعلم الناس الخير نودي في السموات عظيماً<sup>(\*)</sup>، وينفى عنه الشوائب ما استطاع جهده وهذا الذي يلزمه لأنه الذي يقدر عليه .  
وأما ما يقع في قلبه فليس هو مكلفاً بأن لا يقع وإنما عليه إذا وقع يدفعه عن نفسه ويبغضه<sup>(١)</sup>.

فمن النص السابق يرسى الإمام ابن الحاج مبدءاً تربوياً هاماً وهو إخلاص النية في تعليم العلم قدر جهده واستطاعته لينتفع الجميع بأحكام الله سبحانه وتعالى في الأمور الدينية والدنيوية متوكلاً على الله تعالى هذا "التوكل الذي يقوم على الإيمان بالخالق ويتصرف مع السعى وبذل المستطاع من الجهد"<sup>(٢)</sup>.  
ج- أن يذمى عن رفع الصوت في مجلس العلم .

يحذر فقهاء المالكية من رفع الصوت في مجلس العلم فيجب أن يعم مجلس العلم الوقار والسكينة فيذكر الإمام ابن الحاج:

"إذا جلس العالم في مجلس العلم أن يأخذ نفسه بالأدب والاحترام فيتكلم بلطفٍ ورفق ويحذر أن يرفع صوته وأن ينزعج فيؤذى بيت ربه إن كان فيه ويرفع صوته فيخرج عن أدب العلم وعن حد السمات والوقار ويوقع من جالسه في ذلك لاقتدائهم به وكذا أيضاً يحذر أن يرفع أحد صوته من جلسائه فإن رفع الصوت إذ ذاك فيه محذورات منها رفع الصوت في العلم، وقد أنكر مالك رحمه الله ذلك ومنها رفع الصوت في المسجد إن كان فيه، وقد وقع النهي عنه، ومنها قلة الأدب مع العالم الذي حكى مذهبه أو كلامه إذ ذاك إن كانوا في حديث النبي ﷺ يتذاكرون أو أوردته إذ ذاك شاهداً لمسألتهم فهو أعظم في النهي وأبلغ في الزجر لقوله تعالى:

(\* ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، ج(١)، (١)، (القاهرة: دار الفتح، د.ت)، ص (١) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٢٧: ١٢٨.  
(٢) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند (ابن المقفع، الجاحظ، عبد الحميد الكاتب)، موسوعة التربية والتعليم الإسلامية، (بيروت: دار اقرأ، ١٩٨٥)، ص ٢٦٣.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١)  
ولا فرق بين رفع الصوت عليه في حياته أو بعد مماته فيقعون بسبب ذلك في حبط العمل" (٢).

ومن هذا النص يجب أن يكون المعلم قدوةً لغيره في مجلس العلم "فلا يرفع صوته زئداً على قدر الحاجة إليه، ولا يخفضه خفضاً لا يحصل معه كمال الفائدة فالأولى أن لا يجاوز صوته مجلسه، ولا يقصر عن سماع الحاضرين" (٣).

وينبه تلاميذه إلى النصوص التي ورد فيها النهى عن رفع الصوت ومنها "سئل مالك عن رفع الصوت في المسجد بالعلم وغيره؟

قال : لا خير في ذلك في العلم، ولا في غيره؛ ولقد أدركت الناس قديماً يعيبن ذلك على من يكون في مجلسه، ومن كان يكون ذلك في مجلسه كان يعتذر منه، وأنا أكره ذلك ولا أرى فيه خيراً" (٤).

ولا بأس في أخذ المعلم باليات عملية التدريس والتعليم في تكرار اللفظ "فإذا لم يفهم عنه أن يكرر كلامه ذلك حتى يفهم عنه؛ وقد كان بعضهم يستحب أن لا يكرره أكثر من ثلاث مرات .

لما ثبت عن النبي ﷺ أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاث مرات، وذلك عندهم كان ليفهم عنه كل من جالسه من قريبٍ وبعيدٍ، وهكذا يجب أن يكرر المحدث حديثه حتى يفهم عنه أنه قال، وأما إذا فهم عنه فلا وجه للتكرير" (٥) مع ضرورة التزام المعلم بآداب رفع الصوت أثناء تكرار ألفاظ مسائل العلم لتفهم منه.

(١) سورة الحجرات : الآية ٢ .

(٢) ابن الحاج العيبري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٢٣، ١٢٤ .

(٣) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٢٢ .

(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، ج(١)، مرجع سابق، ص ١٣٩ .

(٥) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، قدم له: عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق ص ٢٢١ .

د - أن ينهى عن القيام في مجلس العلم .

ينبه فقهاء المالكية العلماء ومَنْ جالسهم من بدعة القيام أثناء إلقاء وعرض مسائل العلم وذلك من باب حرصهم على صفاء أذهانهم وعدم شربدها عن الغاية التي جلسوا من أجلها وهي الحفظ والفهم والمدارسة، ويذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغي للعالم أن يتحرز في نفسه بالفعل وفيمن جالسه بالقول من هذه البدعة وهي القيام الذي اعتاده بعضنا البعض في المجالس والمحافل؛ لأنه لم يكن من فعل من مضى والخير كله في الاتباع لهم من القول والفعل والحركة والسكون سيما إن كنا في مجلس علم فهو أشد في الكراهة؛ لأنه لا بد وأن يكون يذكر أقوال العلماء فإذا دخل أحد علينا قطعنا ما كنا فيه وتمنا إلى من دخل علينا، فإن كان الداخل صبياً صغيراً أو شاباً أو من لا بال له في دينه فيكون أعظم في قلة الأدب مع العالم، فإن كان مجلسنا في الحديث إذ ذاك فهو أعظم؛ لأنه قلة أدب مع النبي ﷺ وقلة احترام وعدم مبالاة أن يقطع حديثه لأجل غير" (١).

ومن هذا النص يجب على المعلم أثناء تدريسه للتربية الإسلامية واللغة العربية ويذكر فيها القرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ وأقوال السلف الصالح من العلماء والصلحاء رضى الله عنهم أجمعين أن يمنع طلبته من القيام احتراماً وتقديراً وأدباً لما يتدارسونه ويطالعونه.

فقد قال الفقيه أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله المرزى: "إذا قام القارئ لحديث رسول الله ﷺ لأحد كتب عليه خطيئة، ويكره أن يقوم لأحد" (٢).

(١) ابن الحاج العيني، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٦٠: ١٦٣.  
(٢) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ج(١)، مرجع سابق، ص ١٩٥.

هـ- الحض على لزوم السنة باتباع مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة حض تلاميذه على اتباع السنة واجتناب البدعة فيذكر الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم أو يجب عليه بحسب حاله أن يتحفظ على هذا المنصب الشريف من أن يدنس بمخالفة أو بدعة يتأولها أو يبيحها أو يسهوا عن سنة أو يغفل عنها أو يترك بدعة مع رؤيتها بسبب الغفلة عنها أو يمر عليه مجلس من مجالس علمه لا يحض فيه على السنة ولا يأمر فيه باجتنا ب البدعة ؛ لأنه على هذا انعقدت مجالس الفقهاء المتقدمين، وبهذه الأشياء كان يكررون مجالسهم حين كانت السنن قائمة والبدع خامدة فكيف به اليوم" (١).

وهنا يرسى الإمام ابن الحاج مبداءً تربوياً جاداً وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ فمنهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتم على كل مسلم أن يكون رقيباً على ما يجري حوله من أعمال، وما يغيب من أعمال أخرى، ووزن كل ذلك بموازين الشرع، ثم الأمر بما خفى من المعروف والنهي عما ظهر من المنكر على أساس من العلم والمعرفة، وهو منهج يتطلب بحكم فرضيته ولا سيما على من يرى المنكر أن يكون الجميع على شيء من العلم بالضروريات وهي الحلال والحرام والسنن والواجبات، وتكراره يحقق دون شك تثقيف الأمة كلها رجالاً ونساءً دون جهد ولا إرهاق، فهو مدرسة تعليمية تتيح لأكبر قاعدة في الأمة أن تعرف ما لا بد من معرفته، وهو الحلال، والحرام، والمكروه، والسنة، والواجب والبدعة، في وقت قصير، وبلا نفقات، وبطريقة مكررة تضمن التذكير الدائم، وتشمل كل البيئات في المجتمع" (٢).

لذلك وجب على المعلم أثناء إدارته للمواقف التعليمية داخل صفه أن يأخذ بهذا المبدأ لأنه يؤدي إلى التعليم الدائم وازدهار الحضارة وانتشار المحبة والتعاون والحد من

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م (١) ج (١)، ص ٩٥.  
 (٢) الخلال (الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، ت ٣١١هـ)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نواذر التراث (٢)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٥م)، ص ٢٥٨.

الجريمة في المجتمع "فمن سفيان: إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق"<sup>(١)</sup>.

وقد وجه السلف الصالح إلينا نموذجاً صالحاً صارماً في التمسك بالسنة، وسد أبواب الذرائع على البدع من خلال التطبيق التربوي الحازم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويجب على المعلم عند تطبيقه أن يأخذ فيه بالتدرج "فمن حسن الفطنة ألا يأخذ مرتكب المنكر بالعنف وخاصة في أول الأمر، بل لا بد من الملاحظة وأخذه بالرفق واللين حتى يميل إلى الاقتناع بخطأ ما يفعل، فذلك أدعى إلى عدم عودته له وإلا يقع تحت طائلة العقاب"<sup>(٢)</sup>.

و - السكينة والوقار وخشوع القلب والجوارح عند البدء في إلقاء الدرس .

يجب على المعلم "التزم الوقار والسكينة والسمت والخشية في درسه"<sup>(٣)</sup> لأهمية ذلك في عملية التدريس ولذلك يؤكد فقهاء المالكية على التزم العالم بهذه الصفات، فيورد الإمام ابن الحاج:

"إذا شرع العالم في أخذ الدرس وقرأ القارئ فيحتاج إذ ذاك أن تكون عليه السكينة والوقار فيخشع قلبه وتخضع جوارحه لهذا المقام الذي أقيم فيه وهو أن يبين أحكام الله تعالى لعل بركة ما يحصل له هو من ذلك أن يشفع به جلساؤه فيتأدبون بأدبه ويتأسون به وقد روى عن محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة حين دخل على مالك في أصحابه من أهل العراق يريدون سماع الحديث قال: فدخلت فوجدت أصحابه قعوداً بين يديه كأنهم على رؤسهم الطير فقلت السلام عليكم فلم يرد علي أحد منهم سلاماً إلا مالكاً فإنه رد السلام فقلت ما بالكم أفي صلاة أنتم فرمقوني بأطراف أعينهم ولم يتكلموا. فالمقصود أن مالكا كان عنده التعظيم للمقام الذي أقيم فيه فسرى ذلك لطلبته"<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ٥٥.

(٢) سعيد إسماعيل علي، بحوث في التربية الإسلامية، (القاهرة: مركز التنمية البشرية والمعلومات، ١٩٨٧م) ص ١٧٤.

(٣) سعيد إسماعيل علي، اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي، مرجع سابق، ص ص ٩٨ : ٩٩.

(٤) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٢١.

وعلى هذا يجب على المعلم إجلال مجلس العلم بالوقار والاحترام والتعظيم والأدب  
"ويصونه من اللغط"<sup>(١)</sup>.

والمزح الخارج عن حد الالتزام فيكون "وقوراً" مع تلاميذه فلا يرفع التكليف بينه  
وبينهم ولا يتبسط معهم ولا يضاحك أحداً<sup>(٢)</sup> تعظيماً وإجلالاً لإلقاء ومدارسة مسائل  
العلم.

وفى موضع آخر يذكر الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم أن يتحرز من المزح المخرج  
عن حد الوقار وإن كان المزح جائزاً إذا كان على سبيل الصواب وإبقاء هيبة العلم وقاره  
فقد كان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً"<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا النص وجب على العالم حفظ وصيانة العلم كما حفظه السلف الصالح  
بالتمزم الهيبة والوقار فيكون "بطئاً الالتفاف قليل الإشارة، لا يصخب، ولا يلعب، ولا يجفو  
ولا يلغو"<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا كانت عادة القدماء وعلى هديهم نهتدى ونسير.

ز- أن يعود تلاميذه آداب السؤال.

أورد فقهاء المالكية مجموعة من الآداب والأخلاقيات يجب أن يلتزم بها العالم  
والمتعلم في مجلس العلم أثناء إلقاء ومناقشة المسائل وإيراد الأسئلة حرصاً منهم لعموم  
الإفادة ولأن "الأسئلة تحقق العديد من أغراض التعليم من ذلك أنها وسيلة في تناول  
أيدينا، وتعيننا على فحص نتائج التعلم"<sup>(٥)</sup>.

(١) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٢) محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص ١٨١.

(٣) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ٢٠٤.

(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، قدم له: عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق  
ص ٢٣١.

(٥) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

فمن القواعد والأصول التي أرساها فقهاء المالكية في هذا المضمار:

- على المتعلم ألا يقاطع المعلم بسؤال أثناء الدرس :

يؤكد فقهاء المالكية على طالب العلم إذا شرع العالم في إلقاء وعرض درسه ألا يقاطعه أثناء ذلك بل يحسن الإصغاء عليه، ويجب على العالم عدم الالتفات إليه حتى يفرغ من شرح وتوضيح ما هو بصده من موضوع الدرس، فيورد الإمام ابن الحاج:

"ينبغي للعالم إذا أخذ يتكلم في الدرس فأوردت عليه المسائل والاعتراضات والتنظيريات أن لا يجيب أحداً عن مسألته ويمض فيما هو بسيله ويسكت من أورد عليه برفق أو يأمر من يسكته لأن إذا ذلك يخلط المجلس ولا يحصل بسببه كبير فائدة فيتبين المسألة لنفسه ويوجهها وليستدل لها ويورد عليها ثم يجيب عن ذلك كله بما تحصل عنده من أقول العلماء في ذلك ثم ينظرها بما يشبهها من المسائل وما يقرب منها ثم يفرع عليها ما يحتمل من التفريع"<sup>(١)</sup>.

وهنا يوجه الإمام ابن الحاج من خلال هذا النص نظر كل من المعلم والمتعلم إلى كيفية إدارة الموقف التعليمي فالمتعلم يجب عليه أن يلتزم الصمت مع أستاذه "فيصغي إليه إصغاء مستفيد له، متعطش إليه"<sup>(٢)</sup>.

فقد قال الحسين بن علي لابنه: "يا بني ! إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت، ولا تقطع على أحد حديثاً- وإن طال- حتى يمسك"<sup>(٣)</sup>.

ويجب على المعلم أثناء إلقاء درسه أن يرد موضوعه إلى الأصول والقواعد فيستدل عليه بالأدلة والشواهد من الكتاب والسنة الشريفة.

(١) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٢٤.

(٢) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٥٦.

(٣) محمد أحمد إسماعيل المقدم، مرجع سابق، ص ١٥٦.

على المعلم أن يتدرج في شرحه وإلقاء الأسئلة بما يناسب قدرات واستعدادات تلاميذه: يؤكد فقهاء المالكية على تأكيد مبدأ الفرق بين المتعلمين فيجب على المعلم التدرج في طرح مسائل العلم وتوضيحها بحسب قدرات تلاميذه فيذكر ابن الحاج:

"ينبغي للعالم أن يحل أولاً لفظ الكتاب حتى يبين صورة مسألة الكتاب لجميع من حضر الصغير والكبير لأن حل لفظ الكتاب مطلوب من الجميع من الصغير والكبير ممن يحفظ الكتاب ومن لا يحفظه، وهو أقل فائدة حضور مجالس العلم وما يقع عليها بعد ذلك من الكلام فذلك الذي تختلف أحوال الناس في فهمه فمنهم من يُحصل الجميع ومنهم من يُحصل البعض على قدر ما رزق الله تعالى لكل واحدٍ من الفهم فيكون في أول مرة يسير سير الضعيف للحديث الوارد عنه عليه الصلاة والسلام "سيراً بسير أضعفكم" (\*) فإذا تحصل للضعيف مقصوده، وهو حل لفظ الكتاب حينئذ يرجع في البيان إلى من أقوى منه ثم يتدرج بعد ذلك قليلاً على ما مر والتأدب وحسن السميت والوقار مستصحب معه في ذلك كله" (١).

من النص السابق على المعلم "أن يتعامل مع المتعلم على قدر فهمه حتى لا ينفر المتعلم ويخبط عليه عقله" (٢) "فيعطى بحسب قدرات الطالب من المعلومات ومساعدته على استيعابها" (٣) بأن "يلقى إليه الجلى اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً" (٤).

(\*) القاري (الإمام علي بن سلطان محمد الهروي القاري، ت ١٠١٤هـ)، المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ج (١)، ط (٤)، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٤هـ)، ص ١١٢. بلفظ "سيروا على سير أضعفكم".

- العجلوني، مرجع سابق، ج (١)، ص ٥٦٣. بلفظ "سيروا على سير أضعفكم".

(١) ابن الحاج العيني، مرجع سابق، م (١)، ج (١)، ص ١٢٤.

(٢) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند الإمام الغزالي، مرجع سابق، ص ٥٢.

(٣) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأرزق، مرجع سابق، ص ٨١.

(٤) محمد جواد رضا، مرجع سابق، ص ١٣٠.

- أن يتيح المعلم الفرصة كاملة لتلاميذه لكي يناقشوه ويباحثوه؛  
يؤكد فقهاء المالكية على المعلم أن يستمع إلى آراء طلبته وأدلتهم وشواهدهم بعد فراغه من شرح موضوعه لتوجيههم وإرشادهم إلى الصواب ملتزماً في ذلك بآداب العلم وآلياته لتعم الفائدة والإفادة فيورد الإمام ابن الحاج:  
"فإذا فرغ ما عنده من العلم في ذلك والبيان فليعطِ إذ ذاك سكتة ويعلم من حضره؛ ممن يريد الكلام فمن كان عنده شيء فليورده الآن فإذا كان بقي شيء أورده إذ ذاك فيتنبه فيه فإن فعل تبينت المسائل لكل الحاضرين وانتفعوا"<sup>(١)</sup>.  
من هذا النص وجب على المعلمين إفساح المجال لطلابهم لمناقشة ما تم شرحه ليزداد توضيحاً فتثبت بذلك مسائل العلم في أذهان الطلاب وتعم الإفادة لجميع جلساء الموقف التعليمي.

- احترام المتعلم لزملائه بعدم مقاطعة صاحب السؤال حتى يفرغ من كلامه المتعلم - في مجلس العلم- مطالب بتقدير واحترام زملائه ومن أوليات هذا الاحترام ألا يقاطع صاحب السؤال ولا يتكلم أثناء عرضه لمسألته "بما لا يتعلق به، أو بما يقطع عليه بحثه"<sup>(٢)</sup>.

وينبغي للمعلم حث ذلك في تلاميذه فلا يجيب أحداً إلا بعد فراغ صاحب المسألة. وفي هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم إذا أوردت عليه المسائل والاعتراضات أن لا يجيب عن ذلك حتى يفرغ صاحب السؤال بكلامه إلى آخره أو المعترض باعتراضه إلى آخره؛ لأن الكلام إنما هو بآخره. وكذلك ينبغي له أن يتحفظ في حق مَنْ جالسه أن لا يجيبوا عن المسائل حتى يفرغ من يلقيها إلى آخر كلامه. وكثيراً ما يقع هذا

(١) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٢٥  
(٢) أحمد محمد إبراهيم فلاته، آداب المتعلم في الفكر التربوي الإسلامي، (المدينة المنورة: دار المجتمع، ١٩٩٣م) ص ١٥٠.

اليوم نجد أحد الطلبة يريد أن يتكلم على مسألة أو يعترض عليها أو يعارضها أو ينظر بها أو يستدل لها فيقطع الكلام في فمه" (١).

ومن هذا النص يوجه الإمام ابن الحاج إلى حدود العلاقة الأدبية والعلمية بين طلبة العلم في المجلس فعلى طالب العلم "أن يتأدب مع حاضري مجلس الشيخ، ويحترم أقرانه فإذا شرع بعضهم في درس فلا يتكلم بكلام يتعلق بدرس فرغ ولا بغيره، مما لا تفوت فائدته" (٢).

وينبه الإمام ابن الحاج بذكره "قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أدركت الناس وهم يتعلمون السكوت ثم هو اليوم يتعلمون الكلام. فيحذر- العالم- أن يفعل ذلك في نفسه وكذلك يحذر أن يقع ذلك في مجلسه" (٣).

وفى هذا التوجيه إنما قصد الإمام ابن الحاج به أن تدوم العلاقة بين المتعلم وزملائه في الدراسة على أساس من الود والمحبة حتى يتسنى لهم تبادل الخبرات التعليمية والتربوية.

#### • أدبيات المعلم في التزام آداب تعليم العلم :

أدرك فقهاء المالكية خطورة مهنة التدريس فألزموا العالم بمجموعة من الآداب في تعليم العلم لطلابه ليحصلوا على أكبر قدر من المعلومات والمهارات والخبرات المرئية وتكون عملية التعليم لهم مرضيةً ومتوافقةً مع قدراتهم ومهاراتهم واستعداداتهم ومن هذه الآداب والقواعد والأصول ما يلي:

#### أ - أن يبحث المعلم طالب العلم إخلاص النية في طلبه :

على المعلم أن يربى في المتعلم القيم الدينية التعبدية ويعينه على تصحيح نيته "فيظهر قلبه من أغراض الدنيا وأدناسها" (٤)

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٢٦.

(٢) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٦٥.

(٣) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٢٦.

(٤) السيوطي، تريب الراوي في شرح تريب النواوي، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٨٩.

ويوجه كل طاقاته واستعداداته لطلب العلم بغرض التقرب إلى الله سبحانه وتعالى وابتغاء رضاه وامتثال أوامره، وتجنب نواهيه، وعلى المعلم تنمية هذه النية وتحسينها لديه. ويذكر الإمام ابن الحاج "إذا كان المتعلم هو الداخل لطلب العلم بنفسه، فإن كان عالمٌ أو وليه هو الذي يرشده لذلك فتعين على العالم أو الولي أن يعلمه النية فيه، ويحذر أن يرشده لطلب العلم بسبب أن يرأس به، أو يأخذ معلوماً عليه<sup>(١)</sup>. من هذا النص يوجه الإمام ابن الحاج المعلم إلى أن يرشد المتعلم إلى مزج طلب العلم بالتعبد في أول طلبه.

وعن الحسن قال: "قد كان الرجل يطلب العلم، فلا يلبث أن يُرى ذلك في: تخشعه وهديه، ولسانه، وبصره، وبره"<sup>(٢)</sup>.

#### ب- الشفة والرفق في معاملة الطلاب :

من مبادئ التربية الإسلامية إلزام المعلم في الأخذ بالشفقة والرفق في معاملته لطلابه "فعلى المعلمين أن يكونوا رفقاء من تعليم النشيء، فلا يكرهونهم على العلم فيغضوه، ولا يهملونهم عن متابعتهم فيتعوبوا اللهو"<sup>(٣)</sup>. لقوله ﷺ إنما أنا لكم مثل الوالد لوأده<sup>(\*)</sup>.

ويؤكد فقهاء المالكية هذا المبدأ التربوي في عملية التدريس إدراكاً منهم بعظيم شأنه في دوام العلاقة التعليمية والأدبية بين المعلمين والمتعلمين على الوجهة الصحيحة فيذكر الإمام ابن الحاج:

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ١١٤.

(٢) محمد أحمد إسماعيل المقدم، مرجع سابق، ص ١٤٦.

(٣) أحمد عرفات القاضي، مرجع سابق، ص ٤٢٥.

(\*) - ابن خزيمة (الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، ت ٣١١هـ)، صحيح ابن خزيمة تحقيق مصطفى الأعظمي، ج(١١)، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧٠م).

- ابن ماجة، مرجع سابق، ج(١)، ص ١١٤.

"ينبغي للعالم أن يحترز في حق غيره ممن يجالسه أو يباشره، كما يحترز في حق نفسه أنه إذا رأى أحداً من جلسائه قد خالف سنةً أو ارتكب بدعةً أو تهاون بشيءٍ من ذلك نهاه بلطفٍ وعلمه برفق .

فقد قال تعالى في التغيير على عدو من أعدائه منازع له في ملكه.

قال الله تعالى :

﴿ فُقُولَا لَهُ ر قَوْلَا لِيِنَا ... ﴾ (١)

فإذا كان هذا في حق العدو المتمرد، فما بالك في حق أخ مسلم رقيق جليس جاء مسترشداً متعلماً فيجب أن يرفق به فيأخذ أمره باللطف والسياسة لئلا يتغير لأن الغالب على النفوس النفور عند زجرها عن شيء فيحتاج العالم إذ ذاك إلى أمرين ضدين لابد له من اجتماعهما: مراعاة جانب السنة والتغيير والانزعاج عن مخالفة شيء منها، والرفق بالمأمور به في حق إخوانه المؤمنين كل على قدر حاله قال رسول الله ﷺ "علموا وارفقوا ويسرئ ولا تعسرئ ويشرئ ولا تنفرئ" (\*) فيكون هذا العالم إذا رأى شيئاً من هذه الأخلاق في أحد من إخوانه أو جلسائه أو المسترشدين منه ينظر فيهم بمقتضى السنة والاتباع فيرضى لرضا الشرع ويغضب لغضب الشرع فإذا كان كذلك فيرجى الخير والبركة ويكون قريباً من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه في اتباعه لأنه عليه الصلاة والسلام كان أحسن الناس خلقاً فإذا رأى شيئاً من جرم الله ينتهك كان أسرع الناس إليها نصرةً. فإذا حصلت هذه الحمية والنصرة للعالم فيحتاج أن يكون معهما الرفق فلا ينفريهم بل يستحلهم ويسرق طبائعهم بالسياسة حتى يردّها إلى قانون الاتباع" (٢).

(١) سورة طه : من الآية ٤٤ .

(\*) أحمد بن حنبل، مرجع سابق . ج (١)، ص ٢٨٣ .

(٢) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م (١)، ج (١)، ص ص ١٢٠ : ١٢١ .

فمن هذا النص يجب على المعلم "أن يكون رفيقاً بتلاميذه ولا يعنف متعلماً ولا يحقر ناشئاً ولا يستصغر مبتدئاً"<sup>(١)</sup>.

لقوله ﷺ: "لينوا لمن تعلمون ولن تتعلمون"<sup>(\*)</sup> لذلك فمن أهم أدوار المعلم أن يأخذ نفسه بالحنو والشفقة مع تلاميذه فلا يزجرهم من سوء الأخلاق وارتكاب المحرمات والمكروهات أو ما يؤدي إلى فساد حال أو ترك اشتغال، بل بطريق التعريض ما أمكن لا بطريق التصريح، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراً"<sup>(٢)</sup>.

وهذا المبدأ التربوي الذي تنبه إليه فقهاء المالكية "ما تستهدفه التربية المعاصرة من أن يكون المعلم رائداً اجتماعياً ومرشداً نفسياً وموجهاً تربوياً لتلاميذه"<sup>(٣)</sup>. "فأنجح المعلمين هم أشدهم حباً لتلاميذهم وأكثرهم رعاية لهم وشفقة عليهم ورفقاً بهم"<sup>(٤)</sup>.

### ج- مراعاة الفروق الفردية .

يجب على المعلم مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين "بأن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه"<sup>(٥)</sup>. لأن "المتعلمين يكتسبون التعليم وفق قدراتهم وفق الطريقة التي يستطيع المعلم أن يستخدمها لتعليم الناشئة"<sup>(٦)</sup>. "فمعرفة المعلم بتلاميذه من أهم عوامل نجاحه في عمله، وتوفيقه في أداء رسالته فكل متعلم فريد في نوعه"<sup>(٧)</sup>.

ويؤكد فقهاء المالكية على هذا المبدأ فيذكر الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم أن يعامل كل أحدٍ على حسب حاله وما يليق به من اللطف والسياسة والشدّة والغلظة لأن الناس لم

(١) محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص ١٨١.

(\*) الديلمي، مرجع سابق، ج(١)، ص ٧٩.

(٢) عبد الله دخيل الفياض، تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي، ط(٢) (القاهرة: دار المتحفة، ١٩٨٣م)، ص ١٦٢.

(٣) لطفى بركات أحمد، في الفكر التربوي الإسلامي، (الرياض: دار المريخ، ١٩٨٢م)، ص ٩٥.

(٤) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ١٢٧.

(٥) محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص ١٣٠.

(٦) عزت جرادات وآخرون، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٧) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ١٢٠: ١٢١.

يتساوئ؛ فرب شخص لا يرجع إلا باللطف فإن أخذته بالشدة نفرته ورب شخص لا يرجع إلا بالغلظة فإن أخذته باللطف أطمعته وقل أن ينتهي" (١).

فيجب على المعلم أثناء طرحه لمسائل العلم وشرحها مراعاة التدرج في إلقائها حيث إن "الله تعالى خلق لكل نوع من هذه العلوم والآداب أمةً من الناس، وجعل في حيلة نفوسهم محبة معرفتها، ومكنهم من طلبها وتعلمها" (٢) فيجب على المعلم ألا يقدم لتلاميذه تعليماً واحداً، وبطريقة تدريس واحدة، ذلك لأن كل فردٍ يختلف عن سواه. وقد ثبت "أن لكل فرد عالمه الخاص الفريد، وشخصيته المتميزة عن باقي الأفراد وله حاجاته وقدراته وميوله، وهو يختلف عن كل من سواه بسبب سماته المورثة ونصائحه المكتسبة" (٣).

ويتضح مما سبق مدى تأثر فقهاء المالكية بمبدأ الفروق الفردية بين المتعلمين والذي سبقوا به رؤاد التربية الحديثة والباحثون في الدراسات النفسية المعاصرين.

د - العدل والموضوعية في معاملة الطلاب .

من أهم آداب التعليم التي يجب على المعلم الالتزام بها " أن يكون عادلاً بين تلاميذه وأن يعاملهم معاملةً سواء دون اعتبار للمكانة الاجتماعية أو الجاه أو السلطان" (٤).

وقد أكد فقهاء المالكية على هذا المبدأ فيذكر الإمام ابن الحاج: "ينبغي للعالم أن لا يكون في مجلسه مكان مميز لأحد الناس بل كل ما سبق لموضع فهو أولى به كما هو مشروع في انتظار الصلاة، ولا يقام أحد من موضعه جبراً ويجلس فيه غيره للنهي من صاحب الشريعة ﷺ عن ذلك اللهم إلا أن يكون الموضوع معلوماً عن الناس أنه لا يجلس فيه إلا

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج (١)، ص ١٢١.

(٢) أحمد على الفيش، مرجع سابق، ص ١٩٧.

(٣) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ١٢٢.

(٤) محمد منير مرسي، مرجع سابق، ص ١٨١.

فلان، وهم محتاجون إليه في فتواه وعلمه، فإن جلس في غير، لم يعلم مكانه أو يعلم بمشقة فهذا مستثنى مما نهى عنه" (١).

وهنا يرسى الإمام ابن الحاج مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم ويؤكد على "الحرص على الموضوعية في الحكم على الطلاب ومعاملتهم فإن كان بعضهم أكثر تحصيلاً، وأشد اجتهاداً، أو أبلغ اجتهاداً، أو أحسن أدباً، فأظهر إكرامه وتفضيله وبين أن زيادة إكرامه لتلك الأسباب، فلا بأس بذلك، لأنه ينشط ويبعث على الاتصاف بتلك الصفات" (٢).

وذلك لأن "من خصائص المعلم الجيد العدل في معاملة التلميذ، والبعد عن الهوى في الحكم عليهم والتعامل معهم، لأن قدراً من الصحة النفسية يتوقف - عند الطالب - على نوع المعاملة التي يتلقاها من المعلم وكلما خلت معاملة المعلم من تفضيل تلميذاً على آخر - بغير حق - كانت فرصة هذا التلميذ مواتية لكي ينمو نمواً سليماً" (٣).

هـ - أن يتفقد طلابه أثناء الدرس .

يجب على المعلم أن يتفقد طلابه أثناء الدرس لأن ذلك يعد من أهم مهامه التربوية والتعليمية "وأن يراقب أحوال الطلبة في آدابهم، وهديبهم، وأخلاقهم، باطناً وظاهراً" (٤).  
وأن يزرهم عن سوء الأخلاق وارتكاب المحرمات والمكروهات أو ما يؤتى إلى فساد حال، أو إساءة أدب أو عشرة بما لا يليق وغير ذلك" (٥).

ويؤكد فقهاء المالكية على التزام العالم بهذا المبدأ الذي يُعد أصلاً في العملية التربوية فيذكر الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم أن يتفقد إخوانه وجلساءه في أثناء المسائل والفرع بمعرفة السنة والعمل بها والتذنيه عليها ومعرفة فضلها وعلو قدرها وتقدر من يعمل بها

(١) ابن الحاج العيبرى، مرجع سابق، م(١)، ج (١)، ص ١٩٧.

(٢) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٣) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٤) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٥) يوسف محمد النجار، مرجع سابق، ص ٤٨.

ويتبعها وتجنب البدعة والتحذير منها وما يحصل بها من المقت لفاعلها فإنه هذا العلم اليوم هو الأصل، وهو الذي يتعين فرض عين على أكثر الناس" (١).

ويؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة الابتعاد عن الحشو وكثرة المعاني فيذكر الإمام ابن الحاج "نجد كثيراً من طلبة هذا الزمان يقعدون في مجالس العلماء وهم صغار ويشبون وهم على ذلك الحال في حضور المجالس وقل أن تجد منهم من إذا ذكرت له سنة أو بدعة يعرفها أو يتنبه لها لما قد تربي عليه في ترك هذا الفن لإقوله إن كان حاذقاً نبيهاً ذهب الشافعي إلى كذا، وذهب مالك إلى كذا، وقال ابن القاسم كذا، وقال الربيع كذا فيبحث في بعض الفرع ولا يعرف غير ذلك" (٢).

لذلك يجب على المعلمين "توجيه التلاميذ إلى أفضل طرق المذاكرة والتحصيل، فليس عمله مجرد حشو أذهانهم بالحقائق والمفاهيم بل من صميم مسؤولياته إرشادهم إلى خير طرق التعلم" (٣). وأن يلجأ المعلم "إلى التلخيص والاختصار" (٤). ويرى في التلميذ "ملكة الاجتهاد" (٥).

#### • التزام المعلم أدبيات الجلوس في درسه :

يضع فقهاء السادة المالكية مجموعة من الآداب والقواعد والأصول التي يجب على العالم التزمها أثناء جلوسه لإلقاء وعرض دروس ومسائل العلم. فمن أهم هذه الآداب :

أ - أن يجلس في مكان بارز:

يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة جلوسه في مكان ظاهر ليسهل على الطلبة مناقشته وحواره، والإفادة منه فيذكر الإمام ابن الحاج "يستحب للعالم أن يكون بارزاً للناس ليصل إليه الضعيف والمسكين والعامي والجاهل لكي يسمعو أحكام ربهم عليهم ومن

(١) ابن الحاج العيبري، مرجع سابق، م(١)، ج (١)، ص ١٢٧.

(٢) المرجع السابق، م(١)، ج (١)، ص ١٢٧.

(٣) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٤) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرقي، مرجع سابق، ص ٨١.

(٥) أحمد على الفيش، مرجع سابق، ص ١٩٠.

كانت له مسألة يجهلها، ولم يسأل عنها سمعها واستفادها حين إلقاء المسائل والإيراد عليها والجواب عنها .

وقد يكون ذلك تنشيطاً له لطالب العلم والبحث عنه والعمل على تحصيله فيرجع إلى الله تعالى ويتوب من جهله ؛ وتحصل له بركة العلم وحضور المجلس، لأن هذا المجلس الذي جلسه هذا العالم هو المجلس المشهود خيره المعروف ببركته .

وقد قال رسول الله ﷺ " ما من قوم يذكرن الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده " (\*)(١).

من هذا النص يجب على المعلم " أن يأخذ موضعاً يراه فيه جميع الطلاب " (٢). حتى تتاح له فرصة الالتفات " إلى الحاضرين، ويخص من يكلمه أو يسأله، أو يبحث معه " (٣).

مما يساعده على القيام بدوره ومهامه التربوية والتعليمية تجاه طلابه على أكمل وجه فتشمل الإفادة منه جميع الطلاب.

ب- أن يكون قريباً من طلبته :

يؤكد فقهاء المالكية على العالم أن يجلس قريباً من طلابه إيماناً منهم بضرورة وأهمية أن يلم المعلم بحالة طلابه الشعورية واللاشعورية ويضبط شرود تفكيرهم وهذا لا يتحقق إلا إذا كان قريباً منهم مراقباً لحركاتهم وسكناتهم، فيذكر الإمام ابن الحاج:

(\* النوى، رياض الصالحين، تحقيق: محمد محمود عبد العزيز وآخرون، (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠١م)، ص ٣٠٩: ٣١٠. بلفظ "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتداسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده".

(١) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج (١)، ص ٩٤.

(٢) مصطفى رجب، مع تراثنا التربوي: شخصيات ونصوص، مرجع سابق، ص ٩٧.

(٣) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٢١.

"ينبغي للعالم أن يتحرز من هذه الحلقة التي تعمل له في كون الطلبة يبعدون عنه والسلف كانوا لا يبعدون بل تمس ثياب الطلبة ثياب المدرس لقربهم منه، والخير كله في الاتباع فإن كان ذلك للرياسة فذمه أشد" (١).

وقرب المعلم من طلبته أودم لتأكيد أوصل العلاقة التعليمية والأدبية الإنسانية مع طلبته وإدامة المحبة والود بينهم مما يكون له عظيم الأثر في عملية التعليم والتربية.  
ج- سهولة وصول طلبة العلم إليه:

فمن أهم معوقات العملية التعليمية في هذا العصر اتخاذ المعلمين النقيب والحاجب مما جعل وصوله طلاب العلم إلى المدرس أمراً شاقاً ناهيك عما يتعرض له هؤلاء الطلبة من جانب النقباء والحجاب من الزجر والإهانة عند إيرادهم مسائل العلم على المدرس ومناقشته وحوار، وإبراز الاعتراضات والتنظيرات والأدلة والشواهد، وسوف نناقش ذلك في الفصل التالي إن شاء الله المعنون بـ "المؤسسات التعليمية والتربوية في ظل المذهب المالكي".

فيؤكد فقهاء المالكية على تحرز العالم من هذه البدعة التي تعوق نشر العلم وبذله لأهله فيذكر الإمام ابن الحاج: "ينبغي للعالم ألا يتشبهه بالملوك في اتخاذ البوابين والحجاب ومن يمشى بين يديه من الطرادين حتى قل من يصل إليه من المضطرين والمحتاجين إلى مسألة واحدة من العلم فيتخيلون في الوصول إليه بوسائط كما يفعل الملوك وهذا الحال لا يليق بأهل العلم بل هو من فعل الجبابرة المتكبرين والغالب من بعض العوام اليوم الشرود عن العلم والنفور عن أهل الخير لغلبة الجهل وقلة الهمة بغير سبب فكيف بهم إذا وجدوا السبب ويعسر عليهم أمر السؤال إلا بمشقة فيقع الفرار والشرود أكثر" (٢).

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج (١)، ص ١٩٧.

(٢) المرجع السابق، م(١)، ج(٢)، ص ٨٢.

فمن هذا النص إذا كان "العلماء من بنى البشر أبعد عن السياسة ومداخلها" (١).  
وذلك بحرصهم على نشر العلم وبذله لأهله تقريباً إلى الله سبحانه وتعالى وامتثال  
أوامره، فكيف بهم يتشبهون برجال السياسة في اتخاذهم للحجاب مما يعوق أدائهم  
لعملهم ويحجب علمهم عن طلابهم ومبتغيهم فوجب عليه أن ينزه من هذه البدع.

د - عدم الجلوس على حائل مرتفع دون من معه :

يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة التزمه بأخلاقيات وآداب التدريس فلا  
يجلس على موضع مرتفع دون طلبته إلا لضرورة شرعية فيذكر الإمام ابن الحاج:

"ينبغي للعالم أن لا يجلس على حائل مرتفع دون من معه؛ لأنه في ذلك صورة الترفع  
على غيره، وليس ذلك من شيم العلماء إذ أن من شأن المدرس التواضع. وقد سئل مالك  
رحمه الله عن من يجلس في المسجد على شيء مثل فرجة أو بساط، أو شيء يتكئ عليه فكره،  
ذلك وعابه وقال: أتخذ المساجد بيوتاً ورخص ذلك للمريض. وقد كان الإمام أبو محمد  
المرجاني رحمه الله أصابه مرض فاتخذ الدرس في بيته في ناحية منه لأجل مرضه، فلما  
أن كان من الغد خرج من تلك الناحية فقعد خارجاً عنها فقيل له: هلا تقعد بموضعك  
بالأمس؛ لأنه أكن لك لأجل مرضك فقال: إن ذلك الموضع فوق جلسائي وكان الموضع علوه،  
عن أصحابه عرض أصبعين، فقال له: يا سيدي هذا شيء يسير، فقال: لو وجدت سبيلاً أن  
أحفر حفرة تحت الأرض فأقعد تحت جلسائي لفعلت (٢).

ومن هذا النص يجب على المعلم أن يقتصد في جلوسه فيبعد عن دناءات الكبر  
والعجب ويتصف بالتواضع ويترجم ذلك إلى سلوك عملي بالألا يطلب الرفعه في مجلسه وأن  
يقعد بين يدي طلابه قريباً منهم متأسياً في ذلك بالسلف الصالح رضوان الله عليهم  
أجمعين فلا يجلس على موضع مرتفع إلا لضرورة شرعية كما :

(١) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرقي، مرجع سابق، ص ٧٨.

(٢) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج (١)، ص ١٩٢.

"رأى عن أبي هريرة وأبي ذر رضى الله عنهما قالا كان النبي ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه فيجئ الغريب ولا يدري أيهم هو حتى يسأل وطلبنا إلى النبي ﷺ أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذ أتاه فبنينا له دكاناً من طين: فكان يجلس عليه ونجلس بجانبه" (١).

وهنا تتجلى الضرورة الشرعية فيجب على المعلم التنبه إلى ذلك وجعله من أخلاقياته وآدابه في مجلسه.

هـ - أن يلتزم آداب الجلسة الشرعية:

اهتماماً من فقهاء المالكية بضرورة أن يظهر العالم على أكمل وجه ممكن أثناء جلوسه مع طلبته لتعليمهم أحكام ربهم سبحانه وتعالى وسنة نبيه محمد ﷺ يورد الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم أن يحذر من أن يتكى على اليد اليسرى إذا جعلها من خلفه قليلاً ويتكى على شحمتي أصل كفة تلك لما ورد أن تلك الهيئة من فعل المغضوب عليهم" (٢).

من هذا النص يجب على المعلم ألا يجلس متكئاً على يده اليسرى أو "إلى جنبه أو وراء ظهره" (٣). فيجلس "متربعاً متخشعاً" (٤). مستقبلاً القبلة لحديث الرسول ﷺ "إن لكل شيء شرفاً وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة" (\*).

ومن العرض السابق لآداب جلوس العام في درسه نجد اهتماماً عظيماً من فقهاء المالكية بضرورة أن يكون جلوس العالم في درسه على الوجه الشرعية ملتزماً بمجموعة من الآداب والأخلاقيات تجعله نموذجاً وقدوةً لتلاميذه من طلاب العلم.

(١) السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق: شفيق محمد زيعون، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٢) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج (١)، ص ١٩٩.

(٣) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٤) مصطفى رجب، مع تراثنا التربوي: شخصيات ونصوص، مرجع سابق، ص ٩٧.

(\*) - الحاكم النيسابوري، مرجع سابق، ج(٤)، ص ٣٠٠.

- البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، مرجع سابق، ج(٤)، ص ٢٧٢.

- أبو شنبه، مرجع سابق، ج(٥)، ص ٢٦٥.

- القضاة، ج(٢)، ص ١٢٤.

٢- آداب المعلم في بيته ومع أهله :

يؤكد فقهاء المالكية على وجوب التزام أهل العالم بأحكام وشرائع الإسلام انطلاقاً من أن "العالم قدوةً للمقتدى، فإذا فعلت زوجته شيئاً نسب ذلك للشرع، وصار حجةً في الدين غالباً، فيتعين عليه أن يتحفظ على تصرف أهله كما يتحفظ على تصرفه في نفسه. وقد ورد الحديث عن النبي ﷺ أنه قال "النساء شقائق الرجال" (\*). في امتثال الأوامر والنواهي" (١).

ويورد فقهاء المالكية مجموعة من الآداب والفضائل والقيم التي يجب على العالم أن يكسبها لأهله وواجباته نحوهم في الرعاية الدينية والتعبدية منها:

أ - أن يتفقد أهله بمسائل العلم:

أوجب فقهاء المالكية على الزوج أن يعلم زوجته أحكام الغسل والحيض "وأحكام الصلاة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى، فإنه أمر بأن يقيها النار . قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ... ﴾ (٢)

فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة، ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها ويخوفها الله إن تساهلت في أمر الدين. فإن لم يعلم الرجل زوجته هذه الأحكام فليس له أن يمنعها من الخروج من بيتها تسأل العلماء، فإن منعها الخرج فهو آثم قد عصى الله سبحانه" (٣). فإذا كان الرجل مطالب بتعلم أهله فالعالم أحق وأوجب.

(\*) - ابن الجارود، مرجع سابق، ج(١)، ص ٣٣.

- الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج(١)، ص ١٩٠.

- الحسيني (الإمام إبراهيم بن محمد الحسيني ت ١١٢٠هـ)، البيان والتعريف، تحقيق: سيف الدين الكاتب

ج(١)، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠١هـ) ص ٢٦١.

- أبو يعلى (الإمام أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ت ٣٠٧هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق:

حسين سليم أسد، ج(٨)، (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٤م)، ص ١٤٩.

(١) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٥٧.

(٢) سورة التحريم : من الآية ٦ .

(٣) علي عبد الحلیم محمود، المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، ط(٢)، (المنصورة: دار الوفاء، ١٩٩١م)،

ص ١٢٧.

وفى هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج " ينبغي للعالم أن يتفقد أهله بمسائل العلم فيما يحتاجون إليه، لأنه جاء تعليم غيرهم طلباً لثواب إرشادهم فخاصته ومن تحت نظره؛ أكد، لأنهم رعيته ومن الخاصة به، فيعطيههم نصيبهم فيبادر لتعليمهم لآكد الأشياء في الدين أولاً وأنفعها وأعظمها فيعلمهم الإحسان ويعلمهم الوضوء والاعتسال وصفتهما والتيمم والصلاة وما في ذلك كله من الفرائض والسنن والفضائل؛ وكل ما يحتاجون إليه من أمر دينهم الأهم فالأهم، كما ينبغي أن يتفقد أهله في القراءة إذ أن القراءة على ثلاثة أقسام واجبة وسنة وفضيلة فالواجبة قراءة أم القرآن على كل مصل بجميع حرزها وحركاتها وشدائدتها؛ لأن من لم يحكم ذلك فصلاته باطلة إلا أن يكون مأموماً والسنة سورة معها والفضيلة ما زاد على ذلك فمن غير الفرائض فيتعين على العالم أن يعلم عبده وأمه الصلاة والقراءة وما يحتاجان إليه في أمور دينهما كما يجب ذلك عليه في زوجته وولده إذ لا فرق؛ لأنهم من رعيته" (١).

ويشير هذا النص إلى ضرورة قيام المعلم بدورة التربوي والتعليمي داخل بيته مع أهله بنفس الجدية والاجتهاد كما يؤديه مع طلابه داخل الصف الدراسي إذ هم رعيته قال رسول الله ﷺ: "والرجل راع في بيته، وهو مسئول عن رعيته" (\*). فهو مطالب شرعاً بتوضيح أمور العبادات والأحكام والطاعات وأوامر الله لهم وذلك لأن "من أهم أهداف التربية الإسلامية تحقيق الهدف الديني بالعمل للإعداد للآخرة" (٢). وضرب فقهاء المالكية القدوة والمثل في ذلك فقد "علم أسد بن الفرات بنته أسماء وعنى الإمام سحنون بتعليم بنته خديجة" (٣).

(١) ابن الحاج العيبرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ٢٠٧: ٢٠٨.  
 (\*) أبو عوانة (الإمام يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني أبو عوانة، ت ٣١٦هـ)؛ مسند أبي عوانة، تحقيق: أيمن بن عازف الدمشقي، ج(٤)، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨م)، ص ٣٨٢.  
 (٢) عزت جرادات وآخرون، مرجع سابق، ص ٩٧.  
 (٣) محمد منير مرسى، مرجع سابق، ص ١٦٩.

ب - أن يفسح المجال لزوجته لتعليم النساء :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة قيام زوجة العالم بدورها التربوي تجاه تعليم النساء والفتيات أمور وأحكام الدين وشرائعه.

ويورد الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم أن يمنع أهله من الاجتماع بالنسوة مهما أمكنه إلا لضرورة شرعية مثل أن يكون من النساء من يستحين أن يسألن الرجال . فقد مضى فعل السلف على أن زوجة العالم تبلغ عنه أحكام الشرع للنساء عموماً ولبعض الرجال خصوصاً من وراء حجاب .

ويؤخذ من ذلك تعليم زوجة العالم للناس لقوله ﷺ : تركت فيكم الثقيلين لن تضلوا ما تمسكنم بهما كتاب الله وعترتي أهل بيتي" (\*).

لأن أهل بيته ﷺ ورضى عنهم لم يزلوا يبلغون عنه ﷺ الأحكام الشرعية .

وقد كان كبار الصحابة رضى الله عنهم إذا وقع الاختلاف بينهم فى بعض المسائل أرسلوا إلى بعض أزواجه ﷺ يسألونهن فيرجحن إلى ما يفتين به فهذه سنة ماضية" (١).

فمن هذا النص يتضح إلزام العالم بأن يوسع المضمار لزوجته للقيام بأداء رسالتها التربوية مقتدياً فى ذلك بصاحب العصمة ﷺ فقد كان لأمهات المؤمنين -رضى الله عنهن- فضل عظيم فى تبليغ الدين، ونشر السنة النبوية بين الناس، وخاصة بين الناس، فكانت حجراتهم -رضى الله عنهن- مدارس يقصدها طلاب العلم، فيجد السائل عندهن جوابه والمستفتى فتواه، والشاك يقينه ومن نعمة الله تعالى على هذه الأمة أن تعددت هذه المدارس بتعدد زوجات ﷺ ، حيث توفى عليه الصلاة والسلام عن تسع نسوة كلهن سمعن منه وشاهدن تفاصيل حياته المعيشية والعبادية" (٢).

(\* ) أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ج(٣)، ص ٥٩.

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٥٧ : ٢٦٦.

(٢) آمال قرداش بنت الحسين، مرجع سابق، ص ٤٥.

وهذا النص أيضاً يؤخذ منه أنه على العالم تعليم زوجته الأحكام الشرعية وهى بدورها تعلمها للنساء على الوجه المعلوم المشروع.

ج- النهى عن اتخاذ أهله الأوانى من الذهب أو الفضة :

يؤكد فقهاء المالكية على أهمية قيام العالم بدوره فى الذب عن السنة الشريفة ومحاربة البدعة والأمور المخالفة للشرعية وكان ذلك فى حق أهله أولى وأحرى فعليه أن يوضح لأهله أحكام الذهب والفضة والحرير وينهاهم عن اتخاذ الأوانى التى يستعملونها للزينة من الذهب أو الفضة لنهى الشرع الشريف عن ذلك.

وفى هذا الصدد يورد الإمام ابن الحاج " ليحذر العالم أن تتزين الزوجه بالذهب والفضة فى غير ما أبيع لها، إذ أن الشرع إنما أجاز لهن لباس الحرير، والتحلّى بالذهب على أبدانهم فلا يجوز له أن يترك زوجته تتخذ المكحلة أو الميل، أو المرأة من الذهب، أو الفضة، إذ أن ذلك ليس بزينة شرعية، فإن فعلت ذلك كانت عاصيةً ويجب عليها فى كل سنة زكاة تلك الأوانى من الذهب، والفضة بشرطها مع وجود الإثم، إذ أن التوبة عليها واجبة فى كل وقت وأوان" (١).

ويذكر الإمام ابن تيمية "الحلى إن كانت للنساء فلا زكاة فيه عند مالك أما الدواة والمكحلة، ونحو ذلك فيه الزكاة" (٢).

فيجب على العالم أن يلفت نظر زوجته إلى تلك الأحكام وغيرها المتعلقة باتخاذهم الحلى من الذهب والفضة وتقديم النصيحة والإرشاد إذ هو قدوةٌ وزوجه قدوةٌ أيضاً لغيرها من النساء.

(١) ابن الحاج العبرى، مرجع سابق، م (١)، ج (١)، ص ١٥٧: ٢٦٦.  
(٢) ابن تيمية (شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحرانى، ت ٧٢٨هـ)، فتاوى النساء، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح محمد، محمد عويشة، (القاهر: دار المنار، ١٩٩٨م) ص ٥٢.

د - أن يحرص على امتثال السنة بذكر الأدعية والأوراد عند دخول بيته :  
يؤكد فقهاء المالكية على العالم أن يمتثل السنة بذكر الأدعية والأذكار عند دخول بيته ليعتزم بركتها وخيرها وفضلها فيحصل من الثواب الجزيل والعظيم.

ويورد الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم إذ بدأ بدخول بيته قال: بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ويقدم اليمين ويؤخر الشمال، فإذا دخل بيته فليسلم على أهله إن كانوا حضوراً وإن كان في غير ذلك الموضع فليسلم على نفسه فيقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وينبغي له أن يقرأ عند دخوله "قل هو الله أحد" كاملة لما ورد في ذلك من الثواب الجزيل، ثم يصلى على النبي ﷺ ويدعو فيقول "اللهم إني أسألك خيراً المولى وخيراً المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا" (\*)(١).

فالنص السابق ينبه إلى مجموعة من الأدعية والأوراد والأذكار التي يجب على العالم ذكرها فتخلص نيته ويغفر ذنبه، لفضل هذه الأدعية فيذكر الإمام الغزالي "أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى، وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا في لقاء الله تعالى، وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محباً لله وعارفاً بالله سبحانه .  
وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه. وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله" (٢).

هـ - الركوع عند دخوله البيت :

يؤكد فقهاء المالكية على أهمية تقرب العالم من الله تعالى بامتثال أوامر، وتجنب نواهيه والمحافظة على الصلاة فيستحبون للعالم أن يكثر من الركوع والسجود والنوافل سواء في مصلاته أو بيته.

(\* أبو الطيب (الإمام أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم أباري أبو الطيب)، عون المعبود، ط(٢)، ج(١٣) (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٥١هـ)، ص ٢٩٧.

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ٢٠٧.

(٢) الغزالي، مرجع سابق، ج(١)، ص ٤٢٩.

ويذكر الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم أن يركع في بيته قبل جلوسه لقوله ﷺ "لا تتخذوا بيوتكم قبوراً" (\*)(١).

وحرص فقهاء المالكية على ضرورة ركوع العالم في بيته لإدراكهم بعظيم أثر الصلاة في تهذيب النفوس "فالصلاةُ عنصرٌ تال لعنصر الإيمان" (٢).

٤- أدبيات المعلم في اللباس :

أكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة التواضع في اللباس والهيئة وامتثال السنة في ذلك فيذكر الإمام ابن الحاج "فلم يرد عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان له لباس خاص لا يلبس إلا إياه بل كان عليه الصلاة والسلام يلبس ما تيسر من غير أن يتكلف وما زل الناس لا يفرقون بين العالم وغيره؛ إلا بحسن هديه وسمعته أو حسن كلامه .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : العالم يعرف بليته إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفطرون وبيكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون ويحزنه إذا الناس يفرحون .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : لا ينبغي له أن يخوض مع من يخوض ولا يجهل مع من يجهل ولكن يعفو ويصفح، ولم يصف الصحابة والتابعين والعلماء المتقدمين بأن العالم لم يعرف ويوصف بوسع كفه وطوله ووسع ثوبه وحسنه بل وصفوه بما تقدم وقالوا: ينبغي للعالم أن يكون لله حامداً وبنعمه شاكراً وله ذاكراً وعليه متوكلاً وبه مستعيناً وإليه راجياً وبه معتصماً وللموت ذاكراً وله مستعداً. وينبغي أن يكون خائفاً من ذنبه راجياً عفوريه ويكون خوفه في صحته أغلب عليه. فلم يذكر أحد أنه يكون زئياً كذا ولباسه كذا" (٣).

(\* ) - ابن ماجة، مرجع سابق، ج(١)، ص٤٣٨.  
- عبد الرزاق الإمام (أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت ٢١١هـ)، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأظلمى، ج(٣)، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ)، ص٧١.  
(١) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص٢٠٧.  
(٢) محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، ط(١٢)، (بيروت: دار الشروق، ١٩٨٣)، ص٨٦.  
(٣) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٤٢: ١٥٦.

وقد أوضح فقهاء المالكية ما يجوز من اللباس، وما لا يجوز، وما يستحب لبسه، وما يكره؛ اقتداءً بصاحب العصمة ﷺ فيجب على كل مسلم أن يلتزم في لباسه بالآداب التالية والعالم في اتباعها أولى وأحرى إذ هو قدوةٌ كما أوضحنا.

من آداب المعلم في اللباس ما يلي:

أ - استحباب الثياب البيضاء النظيفة:

يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة إثارة البياض من الثياب فيذكر الإمام الخطاب "المذهب استحباب البياض" (١)

قال رسول الله ﷺ "من خير ثيابكم البياض" (\*) أى أحسن ثيابكم وأليقها لسائر الناس البياض (٢).

وقوله ﷺ: البسوا من ثيابكم البياض وكفنوا فيها موتاكم" (\*\*)

ويذكر الإمام ابن الحاج "أن عمر بن الخطاب ﷺ قال استحباب للقارى أن يكون ثوبه أبيض ويفعل ذلك توقيراً للعلم فلا يلبس ثوباً وسخاً ولا قدراً بل نظيفاً من الأوساخ . وقد كان لملكٍ رحمه الله ثيابٌ كثيرة يوقر بها مجلس الحديث حين كان يقرئ؛ فقد صحَّ عنه أنه كان إذا طلبه الفقهاء للدرس سألهم ما يريدون، فإن أخبروه أنهم يريدون مسائل الفقه خرج على الحال التي يجدونه عليها لا يزيد على نفسه شيئاً، وإن أخبروه أنهم يريدون الحديث دخل إلى بيته واغتسل ولبس أحسن ثيابه وتبخر بالمسك والعود، ثم يخرج

(١) الخطاب، مرجع سابق، ج(٤)، ص٢١٧.

(\*) - الشافعي، مسند الشافعي، مرجع سابق، ص٣٦٤.

- البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، مرجع سابق، ج(٥)، ص٣٣ بلفظ "البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم".

- الحنبلي، مرجع سابق، ج(١٠) ص٢٠٠.

(٢) المناوي (الإمام محمد بن عبد الرؤوف المناوي)، عشرة النساء وتربية الأولاد والخدام، تحقيق: محمد إبراهيم النسوقي، (القاهرة: مكتبة ابن سينا، ١٩٩٢) ص٨٢.

(\*\*) ابن حبان، مرجع سابق، ج(١٢)، ص٢٤٢.

إلى الحديث ويطلق البخور بالمسك والعود طول مجلسه ذلك حتى يفرغ تعظيماً للحديث" (١).

ومن النص السابق يتضح أن الشريعة السمحة تقرر أن أحسن لباس الناس البياض والمعلم مطالب "أن لا يخرج إلى الدرس إلا كامل الأهبة وما يوجب له الوقار والهيبة والنظافة في الثوب والبدن، ويختار له البياض فإنه أفضل لباس" (٢).

ب- النهي عن الثياب الكثيرة الأثمان :

يؤكد فقهاء المالكية على المعلم ضرورة التواضع في ثيابه فلا يُطلب له الإسراف والخيلاء في اللباس .

ويذكر الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم أن يتحفظ مما أحدثوه من البدع في لبس الثياب الكثيرة الأثمان وقد كان السلف رضى الله عنهم ثوباً أحدهم من سبعة دراهم إلى عشرة دراهم وكانوا لا يجاوزون هذا إلا نادراً .

فالخروج به عن حد السميت والوقار وخرجهم به عن زى سائر الناس وتكلفهم فى حمله أن تركوه، مدلى ثقل فى مشيهم فتقل مرّة أحدهم بسببه فلا يقدر على المشى الكثير بسببه ولا يقدر على تعاطى قضاء الحوائج بسببه وإن كان يصلى ثقل عليه فى صلاته سيما إذا كان ببطانة وتركه مدلى، وإن كان شغلاً فى الصلاة فيمنع منه.

ونهى الرسول ﷺ من أن يكفت أحدٌ شعراً فى الصلاة أو يضم ثوبه. فإذا ضم ثوبه حين الركوع والسجود وقع فى هذا النهى الصريح وإن لم يضم تركه على حالة انفرش على الأرض حين السجود والجلوس فيمسك به إن كان فى المسجد ما ليس له أن يمسه .

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٤٠.

(٢) عبد الله دخلي الفياض، مرجع سابق، ص ١٦٣.

وقد روى عن الصحابة رضى الله عنهم أن ثيابهم كانت تنقطع من عند مناكبهم لشدة تراصهم فى صلاتهم، لأنه عليه الصلاة والسلام كان لا يدخل فى الصلاة حتى يسويهم فيعلمهم ترصيص الصفوف" (١).

ومن هذا النص يستحب للمعلم أن تكون ثيابه متواضعة لأن الكثيرة الأثمان فيها من إضاعة المال والبذخ والعجب مما يقدر فى نيته التى يجب أن تكون خالصة لوجه الله تعالى لأنه قدوة لتلاميذه فى لباسه وجميع سكناته .

وقال رسول الله ﷺ " من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ذلاً يوم القيامة(\*)".  
ويذكر الإمام ابن الحاج " وإن كان للإنسان أن يتصرف فى ماله لكن تصرفاً غير تام محجوراً عليه فيه؛ لأنه لا يملك الملك التام؛ لأنه أبيع له أن يصرفه فى مواضع ومنع أن يصرفه فى مواضع .

قال الله تعالى :

﴿...وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ...﴾ (٢)

وقال رسول الله ﷺ : " يقول أحدكم مالى مالى وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، وما لبست فأبليت، وما تصدقت فأبقيت" (\*) (٣).

ومن هذا النص على المعلم "إذا عزم على مجلس التدريس تطهر من الحدث والخبث، وتنظف، وتطيب، ولبس من أحسن ثيابه اللائقة به بين أهل زمانه قاصداً بذلك تعظيم العلم، فيتقى أية شبهة للعجب بالنفس، أو للخيلاء بالثياب وما أشبهه" (٤).

(١) ابن الحاج العبرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص١٣٥: ١٣٦

(\*) معمر بن راشد (الإمام معمر محمد بن راشد الأزدي، ت ١٥١هـ)، الجامع لمعمر بن راشد، تحقيق: حبيب الأعظمي، (منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعاني، ج(١٠)، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ) ص ٨٠.  
(٢) سورة الحديد : من الآية ٧ .

(\*) النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: عبد القادر سليمان البنداري، سيد كروى حسنى، ج(٦)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١م)، ص ٢٣٨.

(٣) ابن الحاج العبرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٣٥ : ١٣٦ .

(٤) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ١٣١.

وعلى المعلم أن يوفر أمواله للصرف على طلب العلم والإنفاق في شراء الكتب والرحلة للقاء بالأساتذة.

ج- أن يكون لباسه مثل سائر المسلمين :

استحب فقهاء المالكية للعالم أن يلبس مثل ثياب أهل بلده وارتداء الخشن وأكل الغليظ من الطعام لتحصل به المنفعة والقدوة لإخوانه المسلمين.

يذكر الإمام ابن الحاج "استحب أن يكون لباس العالم مثل لباس سائر الناس فقد زُده الله العالم كمالاً على كمال وزينه وتوجه بتاج الرياسة الحقيقة فما له وللمزينة والرياسة بالقماش بل هي عاهة وآفة أتت على الزينة التي زينة الله بها. نعم فالعالم يحتاج أن يتزين ويزين ما زينه الله به بالزهد في الدنيا والتقليل منها وإطراحها وترك المباهاة بها ولبس الخشن وأكل الغليظ والهرب من الدنيا ومن زينتها ومن أبنائها مع النصيحة لهم والرغبة في الآخرة والأقبال عليها وطلبها والعمل عليها ومحبة أهلها وخدمته والنصيحة لهم والتواضع لهم فهذه هي زينة العالم التي تزيه وترفعه وتعظمه وتزيد رياسته بسببها ويرتفع قدره ويعلو أمره؛ ويظهر علمه ويتواضع له من يراه ويسمعه من سلطان أو أمير أو عامي.

فالعالم الكبير المرجوع إليه في الفتوى والمقلد في النوازل الذي يحضر عنده الفقهاء الجَمْعُ الكثير إذا قصد لأخذ الدرس لا يعرف من بينهم بل هو أقلهم لباساً؛ لأنه أزهدهم وأورعهم فهو أقلهم تكلفاً من الدنيا"<sup>(١)</sup>.

ومن هذا النص يستحب للمعلم عدم الإسراف في ثيابه "وعدم المبالغة في اختيار الأزياء؛ لأن قيمة الرجل ليست بعظمة ثوبه، فلا ينجذب إلى عوامل الحضارة الحديثة لفساد تدينها وعرام شهواتها حتى جعلت للسهرات ملابس فاضحة، وجعلت للإقامة زياً والمسفر زياً وللأكل زياً وللرياضة زياً وللصيف زياً..."<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٤٣ : ١٥٠.  
(٢) محمد الغزالي، السنة النبوية بين أهل الفقه.. وأهل الحديث، ط(٤)، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٩م) ص ٨٥.

وقد قال رسول الله ﷺ "ألبسوا صوف وكلوا" في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة" (\*).

فالمعلم مطالب بالتوسط في الثياب وعدم الانخراط في الأزياء والموضات التي ظهرت مفسدها لا سيما في هذه الأيام وذلك "لأن الأبصار ترمقه، وبنفوس طلابه ميل طبيعي إلى محاكاته" (١) فبتوسطه في لباسه يكون مقبولاً من طلابه ومن الناس جميعاً.  
د - الذهي عن لبسه للحريز مطلقاً :

نهى فقهاء المالكية العالم عن ارتداء الحريز لقوله ﷺ "لا تلبسوا الحريز، فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة" (\*\*).

فيذكر الإمام ابن الحاج "لا يليق للعلماء وأولى الألباب المبالغة في تحسين الخياطة لأنه من فعل أهل الرعونة والالتفات إلى الأغراض الخسيسة لما في ذلك من البدع وسرفاً وتضييع المال وقد شمل تحسين الخياطة المنهى عنها ما زادوه عليه من هذه الأزياق وهذه التضاريب وهذه السجف التي رجعت اليوم كلها حريزاً الخرقه والخيط معاً" (٢).

فمن هذا النص يصرح فقهاء المالكية بتحريم لباس الحريز للرجال عموماً ولكن لا بأس أن يرتدى المعلمون اللباس الحسن الجميلة الملائمة لمكانتهم متجنبين في ذلك استخدام الحريز أو الذهب في صناعتها وغير جانحين إلى العجب والخيلاء والأسراف فيها لقوله ﷺ وقد أخذ حريزاً فجعله في يمينه، وذهباً فجعله في شماله: إن هذين حرام على ذكور أمتي" (\*\*\*) .

(\* ) الديلمي، مرجع سابق، ج(١)، ص ١٠٣.

(١) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ١٣١.

(\*\*) - النسائي، السنن الكبرى، مرجع سابق، ج(٦)، ص ٤١١.

- أبو عوانة، مرجع سابق، ج(٥)، ص ٢١٤. بلفظ "لا تلبسوا الحريز ولا الديباج ولا تشربوا في أنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة".

(٢) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٥١: ١٥٢.

(\*\*) - النسائي، السنن الكبرى، مرجع سابق، ج(٥)، ص ٤٢٦.

- المنذرى (الإمام عبد العظيم بن عبد القوي المنذرى أبو محمد، ت ٦٥٦هـ)، الترغيب والترهيب، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ج(٣)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ص ٧٠.

هـ - النهى عن سعة ثوبه وطوله :

أوجب فقهاء المالكية للعالم عدم اتخاذه الثياب الواسعة والطويلة لقوله ﷺ " لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء" (\*).

فيذكر الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم أن يتحفظ في نفسه بالفعل .

وفيمن يجالسه بالقول من هذه البدعة التي يفعلها كثير ممن ينسب إلى أهل العلم في تفصيل ثيابه من طول الكُمِّ والاتساع والكبر الخارق الخارج عن عادة الناس، فيخرجون به عن حدِّ السمِّ والوقار ويقعون بسببه في المحذور المنهى عنه.

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: "إزرة المسلم إلى أنصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما أسفل من ذلك ففي النار لا ينظر الله يوم القيامة إلى جر إزرة" (\*\*)، "وكره مالك للرجل سعة الثوب وطوله عليه.

فتوسيع الثوب وكبره، وتوسيع الكم وكبره، ليس للرجل به حاجة فيمنع ما زاد على الكعبين سواءً بسواءً" (١).

ومن هذا النص على المعلم "أن لا يطيل ثوبه، أو سره، أو برنسه أو رداءه إلى أن يتجاوز كعبيه" (٢).

ويورد الإمام ابن الحاج "ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين لبس ثوباً فوجد كُمَّهُ يزيد على أطراف أصابعه فطلب شيئاً يقطعه به فلم يجد فأخذ حجراً وألقى كمه عليه، ثم أخذ حجراً آخر فجعل يرصُّه به حتى قطع ما فضل عن أصابعه، ثم تركه كذلك مدلى حتى

(\* ) - البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج(٥)، ص ٢١٨٢.

- أبو عوانة، مرجع سابق، ج(٥)، ص ٢٤٦ بلفظ "إن الذي يجر ثيابه من الخيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة".

(\*\*) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج(٥)، ص ٢١٨٢. بلفظ "لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء".

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٣٥ : ١٣٦.

(٢) أبو بكر جابر الجزائري، مرجع سابق، ص ٣٠.

خرجت الخيوط منه وتدلّت فقليل له في خياطته فقال: رأيت رسول الله ﷺ فعل بثوبٍ كذلك ولم يخطه بعد حتى تقطع الثوب" (١).

فعلى المعلم أن يأخذ القدوة والمثل الأعلى من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين في هيئة لباسهم وامتثال السنة في شكله وخياطته لأنه قدوة لغيره من الطلاب الذين يحاكونه في ثيابهم.

و - أن يمتثل السنة في لباس العمامة :

أكد فقهاء المالكية للعالم أهمية أن يذكر مجموعة من الأدعية والأذكار فيمتثل السنة إذا لبس عمامة أو ثوباً أو ملبوساً جديداً، وفي هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج:

"إذا أراد العالم أن يلبس العمامة من باب المباح، فلا بد فيها من فعل سنن بها من تناولها باليمين وقوله بسم الله والذكر الوارد إن كان ما لبسه جديداً وامتثال السنة في صفة التعميم من فعل التحنّيك والعذبة وتصغير العمامة .

وقد روى عن مالك ﷺ أنه سأل عن العمامة يقيم بها الرجل، ولا يجعلها تحت حلقه فأنكرها وقال: إنها من عمام القبط فقليل له، فإن صلى بها كذلك قال: لا بأس وليست من عمل الناس إلا أن تكون عمامة قصيرة لا تبلغ .

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب رحمه الله. ومن المكروه ما خالف زى العرب ولبسه زى العجم كالتعميم من غير حنك قال رحمه الله: وقد روى أنها عمامة الشياطين وقال بعض العلماء السنة في العمامة أن يسدل طرفها إن شاء أمامه بين يديه وإن شاء من خلفه بين كتفيه، وقال لا بد من التحنّيك في الهيئتين (٢).

وقد أوصى ﷺ "لبس العمام بقوله عليكم بالعمائم فإنها سيماء الملائكة وأرخواها خلف ظهوركم" (\*).

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٣٧.

(٢) المرجع السابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٤٥ : ١٤٧.

(\*) الطبراني، المعجم الكبير، مرجع سابق، ج(١٢)، ص ٣٨٣.

فعلى المعلم الشيخ الفقيه عند ارتداء العمامة الالتزام بالآداب المتقدم ذكرها وهذا يخص علماء وطلاب الأزهر الشريف لالتزامهم بلبس العمامة ويذكر الإمام محمد الغزالي "أنه ليس في فضل العمامة حديث يصح"<sup>(١)</sup>. وعلى هذا لم يلزم الفقهاء المعلم بالتعمم.

ز - استحباب لبس الحسن من الثياب في الجمع والأعياد:

يؤكد فقهاء المالكية على أهمية أن يحسن العالم زيته وهيئته و"كان ﷺ إذا استجد ثوباً لبسه يوم الجمعة"<sup>(\*)</sup>.

ويورد الإمام ابن الحاج: "ورد عنه عليه الصلاة والسلام من التأكيد في لبس الحسن من الثياب إلا في الجمع والأعياد ولم يرد عنه في ذلك مخالفة لباس الناس لفقيه ولا لغيره، ومجالس العلم اللبس لها أخفض رتبة من الجمع والأعياد.

وقد كان سيدي أبو محمد رحمه الله يخرج للمسجد والدرس بما تيسر من اللباس ولا يقصد لذلك لباساً معيناً إلا ما كانت من الأعياد والجمع وكان يخرج في زمان الصيف بقميص خام غليظ يصل إلى نصف ساقه وعلى رأسه طاقية طاق واحدٌ ومنديل أو خرقة يجعلها على أكتافه حين الصلاة، ثم يزيلها إذا فرغ منها ويجعلها بين يديه، وإن كان في زمن الشتاء رد على ذلك دلقاً واحداً غليظاً وفوطاً تساوى سبعة دراهم أو نحوها"<sup>(٢)</sup>.

ومن النص السابق فقد أكد فقهاء المالكية على أهمية أن يحضر العالم مجلسه في المسجد على أكمل هيئة وأنضر صورةً لإدراكهم أهمية موقعه وتأثيره في تلاميذه. وهذا الاهتمام الشديد "بهئية المعلم ليس مسألة شكلية، وإنما هي مما يجعل صورة المعلم باعثة على ارتياح المتعلمين، سارةً لنظرهم، ومن ثم يصبحون أكثر تهيؤاً لتلقى التعليم في أحسن ظرف ممكنة"<sup>(٣)</sup>.

(١) محمد الغزالي، مرجع سابق، ص ٨٥.

(\*) الخصري (الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخصري)، الجامع الصغير للسيوطي، تحقيق محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زيد العابدين المناوي، ج(١)، (جدة: دار دائرة العلم، د.ت)، ص ٧٩.

(٢) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٥٤.

(٣) سعيد إسماعيل علي، اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي، مرجع سابق، ص ص ٨٧: ٨٨.

## تعقيب :

تأتى أهمية مناقشة فقهاء المالكية لأدبيات العالم فى اللباس لتأثيرها العظيم فى نفوس المقتدين به ولأن كثير من المفاسد قد حُلقت بسبب هيئة اللباس فكان تأثيرها عظيماً على حرمان طلبة العلم من تلقيه، فيذكر الإمام ابن الحاج من المفاسد التى وقعت بسبب اللباس "حرمان تعلم العلم لمن له أولاد يريد أن يشغلهم بالعلم فيمتنع عليه ذلك لقلّة ذات اليد، لا يقدر أن يُحصل لأحدهم تلك الثياب التى اصطلحوا عليها، ولا يقدر على ولده أن يُحضّر مجلس العلم بغيرها فتركوا تعلم العلم لأجل ذلك" (١).

وبسبب مفاسد الثياب انتشرت ظاهرة التحاسد بين العلماء فى هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج "فلو بقى العلماء على ما كان عليه سلفهم فى هدى العالم وسمته وزهده وورعه وتقشفه وخوفه وقلقه وهربه والإعراض عن الدنيا وحسن منطقته وعذوبة عبارته ووقوفه على باب ربه ودعوى الناس إلى ذلك وتواضعه وإشفاقه عالماً بأهل زمانه متحفظاً من سلطانه ساعياً فى خلاص نفسه ونجاة مهجته مقدماً بين يديه ما يقدر عليه من عرض دنياه مجاهداً لنفسه فى ذلك ما استطاع ويكون أهم أمور، عنده الورع فى دينه واستعمال تقوى الله تعالى ومراقبته فيما أمر، به ونهاه عنه، فلو بقى العلماء على بعض هذا لحفظ بهم العلم وتميز أهله من غيرهم ولكنهم تنافسوا فى تحسين الثياب والإسراف فى تزيينه حتى اختلط الأمر وصار لا يعرف العالم من العامى لتقارب النسبة والشبه فى التصرف والحال وحب الدنيا والإقبال عليها" (٢).

٥- أدبيات المعلم فى تفقد لباس أهل بيته :

حرص فقهاء المالكية على توضيح آداب المعلم فى لباس أهله انطلاقاً من وجوب نصحه وإرشاده لهم للتمسك بأوامر الله سبحانه وتعالى وتجنب نواهيه فى كل أمورهم

(١) ابن الحاج العبدى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٥٧.

(٢) المرجع السابق، م(١)، ج(١)، ص ١٥٧ : ١٥٨.

ومنها اللباس لأنه الهيئة الظاهرة التي يطلع عليها الناس وعلى أثرها يقتدون فمن أهم هذه الآداب:

#### أ - الذمى عن الثياب الضيقة القصيرة :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة لبس النساء والفتيات الثياب الطويلة التي تستر قدمها وتسبل خمارها على رأسها فتستر عنقها وجسمها.

ويشير الإمام ابن الحاج فى هذا الصدد بذكره "ينبغى للعالم أن ينهى أهله من أن يلبس الثياب الضيقة القصيرة حيث وردت السنة بصددها؛ لأن الضيق من الثياب يصف من المرأة أكتافها وتديبها وغير ذلك، هذا فى الضيق، وأما القصر فإن الغالب منهن أن يجعلن القميص إلى الركبة، فإن انحنى أو جلست أو قامت انكشفت عورتها .

ووردت السنة أن ثوب المرأة تجر؛ خلفها ويكون فيه وسع بحيث إنه لا يصفها، فإن قلن إن السراويل يغنى من الثوب الطويل فصحيح أن فيه ستره لكن يُشترط فيه أن يكون من السرة وهن يعملنه تحتها بكثير .

فلا بد للعالم أن ينهى أهله عن هذه القبائح يذمها ويعلمهن أمر الشرع فى صفة اللباس للمرأة لأن المرأة كلها عورة إلا ما استثنى من ظهور أطرافها لذى المحارم" (١).

فمن هذا النص ينهى فقهاء المالكية نساء المسلمين عامةً من لبس الثياب التى تصف جسمها ومحاسنها حتى لا تنتشر الفاحشة فى المجتمع ويعم الفساد فقد قال تعالى:

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًّا لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ... ﴾ (٢)

وقالت عائشة رضى الله عنها: "يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن" شققن أكتف مرطهن فاخترن بها" (\*).

(١) المرجع السابق، م(١)، ج(١)، ص٢٣٧.

(٢) سورة الأحزاب : من الآية ٥٩ .

(\*) - البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، مرجع سابق، ج(٢)، ص٢٣٤.

- أبو داود، مرجع سابق، ج(٤)، ص٦١.

ويورد أيضاً ابن الحاج "قال مالك رحمه الله بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى النساء عن لبس القياطي قال، وإن كانت لا تشف فإنها تصف .

قال ابن رشد رحمه الله القياطي ثياب ضيقة ملتصقة بالجسد لضيقها فتبدي ثخانة جسم لابسها من نحافته وتصف محاسنه وتبدي ما يستحسن مما لا يستحسن فنهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يلبسها النساء امتثالاً لقوله تعالى:

﴿... وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾ (١)

فالعالم - من هذا النص- مطالب بالقيام بدوره التربوي خارج البيت مع طلبته في الصف وفي بيته مع أهله وأولاده لتنشئتهم على القيم والأخلاق الفاضلة فيمنع عنهم الرذيلة في اللباس بالنصح والتوجيه وذكر أحكام الشرع وأوامر الله تعالى في ذلك فتعم الفائدة ويصان المجتمع إن شاء الله.

ب- أن ينهاهن عن لبس العمائم:

يذكر الإمام ابن الحاج "ينبغي للعالم أن ينهاهن عن هذه العمائم التي يعملنها على رؤسهن كما ورد في الحديث "لا تقوم الساعة حتى يكون نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن مثل أسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ربها وإن ربحها ليوجد في مسيرة خمسمائة عام" (\*\*).

وقال الشيخ الإمام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في معنى على رؤوسهن مثل أسنمة البخت "هذا مشاهد ومرئي، إذا أن في عمامة كل واحدة منهم سنامان، وأقل ما فيه من الضرر أن رأسها يعتل بسبب هذه العمامة؛ لأنهن اتخذنها عادة من فوق الحاجبين وفي ذلك مفاسد:

(١) سورة النور : من الآية ٣١ .

(\*\*) - البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، مرجع سابق، ج(٢)، ص ٢٣٤ .

- أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ج(٢)، ص ٣٥٥ .

أحدها: أن المرأة محل لاستمتاع الرجل وأعظم جمال فيها وجهها وهي تغطي أكثره؛ فتقع بذلك في الإثم، لأنها تمنع زوجها حقه ولو رضى زوجها بذلك فإنها تمنع منه لمخالفتها للسنة.

الثاني: أنها إذا كانت هذه المواضع مستورةً، فإذا احتاجت إلى الوضوء تحتاج إلى كشفها حتى تغسل ما يجب عليها، فإذا غسلته فقد تستهوي؛ لأن الموضع قد اعتاد التغطية فإذا كشفته عند الغسل قد تتضرر فيكون ذلك سبباً لترك فرضين أحدهما: غسل الوجه والثاني: مسح الرأس.

الثالث: الزينة التي جعلها الله تعالى بها في وجهها سترتها عن زوجها، وقد يفرض ذلك للفرق؛ لأنها تبقى في تلك الحالة بشعة المنظر، فإن قيل: إن فيها بعض جمال لها فهذا نادرٌ والنادر لا حكم له<sup>(١)</sup>.

ومن هذا النص يجب على المعلم أن ينهى طلبته وأهله من هذه العمائم ويوضح لهم المفاسد التي وقعت بسببها امتثالاً للسنة الشريفة.

#### ج- أن يذاهن عن توسيع الأكمام وقصرها

يؤكد فقهاء المالكية على العالم ضرورة أن ينهى أهله وطلبته من توسيع وتقصير الأكمام لما فيها من فعل المتبرجات وقد ورد نهى الشرع أن تخرج المرأة متزينةً متبرجةً متعطرةً فينبغي تعليم المرأة ما يلزمها من الشرع في أمور لباسها.

فيذكر الإمام ابن الحاج "يجب للعالم أن يمنعهم من توسيع الأكمام التي أحدثتها مع قصر الكم فإنها إذا رفعت يدها ظهرت أعكانها ونهودها وغير ذلك وهذا من فعل من لا خير فيه من المتبرجات<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ٢٣٨ : ٢٣٩.

(٢) المرجع السابق، م(١)، ج(١)، ص ٢٣٩.

من النص السابق على المعلم أن يعلمهن من الأحكام والشرائع ما يصلح حالهن ويصون كرامتهن وظهرهن بالمظهر اللائق المحتشم بما يتناغم ومطالب الدين الإسلامي الحنيف فيذهب عنهم الفتنة ويسد باب الذرائع لانتشار الفاحشة في المجتمع الإسلامي.

د - أن يأمرهن بالخروج في الخفش من ثيابهن :

يؤكد فقهاء المالكية على أن المرأة إذا أرادت الخروج أن تخرج بثياب غليظة طويلة الذيل فيذكر الإمام ابن الحاج: "ينبغي للعالم أن يعلمهن السنة في الخروج إن اضطرت إليه؛ لأن السنة وردت أن المرأة تخرج في فحش ثيابها وهو أدناه وأغلظه، وتجر مرطها خلفها شبراً أو ذراعاً ويعلمهن السنة في مشيهن في الطريق، وذلك أن السنة قد حكمت أن يكون مشيهن مع الجدران .

لقوله ﷺ "ضيقوا عليهن الطريق".

فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها<sup>(١)</sup>.

ويوضح الإمام ابن الحاج المفاصد التي ظهرت لعدم معرفة المرأة بالسنة في خروجها من بيتها فيذكر.

"فمن المفاصد التي ظهرت في هذا الشأن لعدم معرفة المرأة بالسنة أنها تقعد في بيتها بحفش ثيابها وترك زينتها وبحملها، وبعض شعرها نازل على جبتها إلى غير ذلك من أوساخها وعرقها حتى لو رآها رجل أجنبي لنفر بطبعه منها غالباً فكيف بالزوج الملاصق لها، فإذا أرادت إحداهن الخروج تنظفت وتزينت ونظرت إلى أحسن ما عندها من الثياب والحلى فلبسته وتخرج إلى الطريق كأنها عروس تجلى، وتمشى في وسط الطريق وتزحم الرجال"<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق، م(١)، ج(١)، ص ٢٣٩.

(٢) المرجع السابق، م(١)، ج(١)، ص ٢٤٠.

من هذا النص يوضح الإمام ابن الحاج ضرورة تمسك المرأة بالسنة في خروجها من بيتها وتعاملها مع زوجها لأنه أدوم للعشرة بينهم فقد أمرها الشرع أن تبدى زينتها لزوجها وأن تتحفظ على نفسها من البدع التي أحدثتها النساء عند خروجها من بيتها، وعلى زوجها ووليها كأبيها أن ينهاها عن مفاسد الثياب وهي كثيرة في هذه الأيام لظهور أنواع متنوعة لا حصر لها من الموضات التي تثير الشهوة وتحرك الرغبات المكبوتة فعمت بها البلوى على المجتمع كله.

ويجب على المعلم أن يوجه أهل بيته وطلبته إلى قراءة الكتب الفقهية النافعة ويعلمهم أحكام دينهم ليتعلمن ما يستقيم به حالهن وأن يوجهن إلى حضور البرامج والندوات والمحاضرات الدينية التي تحثهن على فضائل الشيم والأخلاق وتوضح لهن الأحكام الشرعية الخاصة باللباس حتى يلتزمن بها ويعلمنها لبناتهن لأنهن القدوة لهم.

**ثانياً: أدبيات المتعلم :**

يقصد بها "مجموعة الأنماط السلوكية التي يطلب من المتعلم أن يلتزم بها في تلقيه العلم وفي علاقته مع نفسه وأساتذته وزملائه"<sup>(١)</sup>.

#### ١- إخلاص النية في طلب العلم :

يؤكد فقهاء المالكية على طالب العلم أن يُحسِّن نيته في طلب العلم بأن يقصد به وجه الله تعالى، وإحياء الشريعة، وامتثال أوامره وأحكامه، ولا يقصد به الأغراض الدنيوية من طلب المباهاة والرياسة والجاه لأن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من العبادات والأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

قال تعالى :

﴿... وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ...﴾<sup>(٢)</sup>

(١) أحمد محمد إبراهيم فلاتة، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٢) سورة البينة : من الآية ٥ .

وقوله ﷺ : إنما الأعمال بالنية" (\*).

فيشير الإمام ابن الحاج إلى ذلك بقوله "ينبغي للمتعلم أن تكون نيته في طلب العلم لله تعالى؛ لأنه في أول أمره متصف بالجهل فيحرص على تخلص نيته من الشوائب في نفسه، وهو أن يقصد بذلك وجه الله تعالى، لا لأجل أن يرتفع قدره عند الناس، أو يُعرف بالعمل، أو لعلوم يأخذه به، أو لأن يراس به على الجهال، أو لأن يشار إليه، أو لأن يُسمع قوله إلى غير ذلك من الخطوط المذمومة شرعاً التي تخرجه عن أن يكون لله تعالى" (١).

"ولا يختلف العلماء أن العلم أفضل الأعمال بعد الأيمان بالله ﷻ .

وإذا كان أفضل الأعمال فيتعين تخلصه لله تعالى فيبدئه أولاً بالإخلاص من المحض، حتى يكون الأصل طيباً فتأتي الفرع على هذا الأصل الطيب فيرجى خيره، وتكثر بركته، والقليل من العلم مع حسن النية فيه أنفع وأعظم بركةً من الكثير منه مع ترك المبالاة بالإخلاص فيه" (٢).

ويؤكد هذا المعنى الإمام ابن الصلاح في آداب المحدث "علم الحديث علم شريف يناسب مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم وينافر مساوئ الأخلاق ومشايين الشيم، وهو من علوم الآخرة لا من علوم الدنيا.

فمن أراد التصدي لإسماع الحديث أو لإفادة شيء من علومه فليقدم تصحيح النية وإخلاصها، وليطهر قلبه من الأعراض الدنيوية وأدناسها، وليحذر بلية حب الرياسة ورعوناتها" (٣).

(\* - البخارى، صحيح البخارى، مرجع سابق، ج(٦)، ص ٢٥٥١.

- مسلم، مرجع سابق، ج(١٣)، ص ١٥١٥.

- السيوطي، أسباب ورود الحديث، تحقيق: يحيى إسماعيل أحمد، ج(١)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م) ص ٧٣.

- أبو المحاسن (الإمام يوسف بن موسى الحنفي أبو المحاسن)، معاصر المختصر، ج(٢)، (بيروت: عالم الكتب د.ت)، ص ٣٤٧.

(١) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، صص ١١٤.

(٢) المرجع السابق، م(١)، ج(٢)، ص ١١٤.

(٣) ابن الصلاح، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح الدين بن محمد بن عويضة، مرجع سابق، ص ١٤٧.

فينطبق هذا الكلام على كل من طلب العلم سواء العلوم الشرعية أو العلوم الطبيعية بضرورة ابتغاء وجه الله تعالى من خلال تعلمه لهذه العلوم.

ويشير الإمام ابن الحاج أيضاً في هذا الصدد "من طلب العلم لوجه الله لم يزل معاناً، ومن طلبه لغير الله لم يزل مهاناً، لذلك فينبغي للمتعلم أن لا يسعى لطلب المعلوم ولا في زيادته، ولا في تنزيهه في المدارس، ولا في الوقوف على أبواب من يرجى ذلك منهم فإن فعل شيئاً مما ذكر كان ذلك قدحاً في نيته، ووقع عليه الذم بنص كتاب الله سبحانه وتعالى حيث يقول تعالى :

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (١)

"فالعلم عبادة من العبادات، وقربة من القربات، فإن أخلصت فيه النية لله تعالى قبل وزكى ونمت بركته.

وإن قصد به غير وجه الله تعالى حبط وضاع، وخسرت صفقته، وربما تفوته تلك المقاصد، ولا ينالها فيخيب قصده ويضيع سعيه" (٢).

ويشير الإمام ابن الحاج في هذا الصدد "العلم من الله تعالى، والعمل لله، وإن الرجل ليلتطلب العلم لغير الله فيرده العلم إلى الله، فإن العلم يأبى أن يكون إلا لله.

وطالب العلم لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون قوياً في دينه واثقاً بربه، أو لا يكون كذلك، فإن كان الأول فاشتغاله بالعلم وإقباله عليه أولى من أن يدور في المدارس أو غيرها، لأن الله تعالى قد تكفل برزقه خصوصاً وقال ذوالنون المصري رحمه الله: كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضاً للدين، وترناً لها، فالיום يزداد الرجل بعلمه للدين حباً، ولا طلباً، وكان يتفوق ماله على العلم، واليوم يكسب الرجل بعلمه ماله، وكان يرى على

(١) سورة الصف: من الآية ٢ : ٣ ؛ ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م (١)، ج (٢)، ص ١١٤ : ١١٥  
(٢) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٤٠.

طالب العلم زيادة إصلاح في باطنه، وظاهره، فالיום ترى على كثيرٍ من أهل العلم فساد الباطن والظاهر" (١).

وفى هذا النص يشير الإمام ابن الحاج إلى أنه على طالب العلم بجانب إخلاص النية في طلبه "أن يحسن ظاهرة وباطنه ويتشبت بالأخلاق الكريمة والشيم النبيلة وأن يقتدى بالسلف الصالح في طلبهم للعلم "فقد أنفق يحيى في طلب العلم ستة آلاف دينار وسمع منه الناس وتفقه عليه خلق، وإليه كانت الرحلة في وقته" (٢).

وقد قال رسول الله ﷺ "من طلب العلم ليباهى به العلماء، ويمارى به السفهاء أو ليصرف وجوه الناس إليه، فهو في النار" (\*).

وكثير من أحاديث الرسول ﷺ تقضى "بأن على طالب العلم أن يصح نيته في طلبه، فلا يكون طلبه إلا لله وحده، ويتبغى عنده الرضوان، ويرجو لديه الثواب، لا ليرتفع به في أعين الناس، ويعلو به فوق أعناقهم، ويركب به أكتافهم" (٣).

## ٢- التواضع:

يُعد التواضع من أبرز شروط التعليم "فالتعلم عليه ألا يعتقد لعلم أنه حصل منه على مقدار لا يمكن الزيادة عليه فذلك طيش يوجب الحرمان .. لقوله ﷺ : وقل رب زدني علماً" (\*\*)(٤).

ويورد ابن الحاج "قد تقدم في العالم أن من آدابه التواضع لمن يعلمه، وإذا كان كذلك مطلوباً في العالم فمن باب أولى في المتعلم المحتاج إلى التعليم، فينبغي له أن يكون

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ٣٢.  
 (٢) أحمد مصطفى، أخلاق السلف في العلم والتعلم، (القاهرة: دار الخفاء، ١٩٩٩م) ص ٩٥.  
 (\*) - الترمذى، سنن الترمذى، مرجع سابق، ج(١)، ص ١٨٤.  
 - الهيثمى، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق، ج(١)، ص ١٨٤.  
 - الدارمى، مرجع سابق، ج(١)، ص ١١٦.  
 (٣) أبو عبد الله محمد بن سعيد بن رسلان، آداب طالب العلم، (القاهرة: دار العلوم الإسلامية، ١٩٨٨م) ص ١٣.  
 (\*\*\*) البخارى، صحيح البخارى، مرجع سابق، ج(١)، ص ٣٤.  
 (٤) مصطفى رجب، مع تراثنا التربوي: شخصيات ونصوص، مرجع سابق، ص ١٦٦.

تواضعه أكثر حتى لو صار أرضاً توطأً كان قليلاً بالنسبة إلى ما هو يطلبه؛ لأن التواضع يُقبل القلوب عليه، وينشط من يعلمه لتعليمه، وإرشاده، والتواضع أصل كل خير وبركة كل شئٍ" (١).

وهذا النص يؤكد اهتمام السادة المالكية بضرورة تحلى المتعلم بأدب التواضع "فقد قال بعض الحكماء: وجدنا التواضع مع الجهل والبخل أحمد عند الحكماء من الكبر مع الأدب والسخاء فأنبل بحسنة غطت على سيئتين وأقبح بسيئة غطت على حسنتين" (٢). فإذا كان التواضع في حق الناس مطلوب ففي حق طالب العلم واجب لأنه المحتاج والفقير إلى التزود بالعلوم والمعارف فينبغي له "أن يكون على درجة من التواضع والأدب مع معلمه ليكون له الثواب والشرف في خدمته" (٣).

وقال رسول الله ﷺ: من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله، ومن اقتصد أغناه الله، ومن بذر أفقر؛ الله، ومن أكثر ذكر الله أحبه الله" (\*).

وقد رسم القرآن الكريم طريق العقل إلى المعرفة وقد تضمن مبادئ تضمن له سلامة الوصول ومنها التواضع (٤).

## ٢- أن يتحفظ من الحسد :

يؤكد فقهاء المالكية على علاقة الطلاب بعضهم ببعض وأن تشجيع روح الود والمحبة والتعاون في العلم على البر والتقوى والتحفظ من تسرب روح الحسد والغيرة بينهم لأنها ذريعة للعديد من المفاسد التي لا تليق بهم وهم طلاب للعلم فالأولى لهم التخلق بمحاسن الأخلاق وأسمى الشيم.

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٢٠.

(٢) الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، مرجع سابق، ص ٢٩٩.

(٣) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند الإمام الغزالي، مرجع سابق، ص ٤٦.

(\*) الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، مرجع سابق، ج(٤)، ص ٢٢٢.

(٤) علي خليل مصطفى أبو العينين، التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي الركائز والمضامين، (المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حلي، ١٩٨٧م) ص ٤٦.

فيشير الإمام ابن الحاج "ينبغي للمتعلم أن يتحفظ على نفسه من تلك البدعة التي عمت بها البلوى وهي نظر المتعلمين بعضهم لبعض وقول بعضهم كيف يأخذ فلان كذا وكذا، وأنا أكثر منه بحثاً، وقد حفظت الكتاب الفلاني، والكتاب الفلاني، ويقع بسبب ذلك بينهم شأن، واتصاف بالحسد، وما شاكله وخرج ذلك إلى باب الأسباب الدينوية"<sup>(١)</sup> وهنا يؤكد فقهاء المالكية مرةً أخرى إلى ضرورة إخلاص النية في طلب العلم ابتغاء وجه الله تعالى والتحرر من الأسباب الدينوية التي تقود إلى كل رذيلة ومنها ظاهرة التحاسد بين طلبه العلم بعضهم لبعض "فالمستغرق بحب الله تعالى، لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عبداً لله وأفعالهم أفعالاً لله ويراهم مسخرين"<sup>(٢)</sup>.

ومن واجب المعلم أن يبت في تلاميذه آداب التعامل مع الرفاق "إذ يكتسب الأقران السلوك من خلال تعاملهم بعضهم بعضاً، وهذا يتطلب توجيه الطفل نحو التعامل الحسن مع رفاقه"<sup>(٣)</sup> بحيث يكون هذا التعامل مبنياً على الاقتداء بالسلف الصالح وأخلاق النبي ﷺ.

"وينبغي للمتعلم أن يعظم زملاءه لما لذلك من الأثر الكبير في استمرار المودة بينهم، وتقوية أواصر العلاقة التي تعود بالنفع عليه وعلى زملائه"<sup>(٤)</sup> وحب التلاميذ بعضهم لبعض إنما "قصد لتحقيق العلاقة العلمية بين الزملاء أثناء الدرس، وتجنب كل ما من شأنه أن يثير سوء التفاهم بين زملاء الدراسة، بحيث لا تكون بينهم إلا المودة، والتعظيم، وحفظ المصلحة العلمية العامة للجميع"<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٢٠.

(٢) محمد علي قراعة، مرجع سابق، ص ١٥٧.

(٣) عزت جرادات وآخرون، مرجع سابق، ص ٩٦.

(٤) أحمد محمد إبراهيم فلاتة، مرجع سابق، ص ٢١٤٩.

(٥) المرجع السابق، ص ١٥٠.

#### ٤- التحلى بالأخلاق الكريمة والافتداء بالسلف الصالح:

يؤكد فقهاء المالكية أنه على طالب العلم ضرورة التحلى بالأخلاق والشيم الكريمة والتأسى بالسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين "فمن شرائط المتعلم ووظائفه أن يضع تركية النفس عن رذائل الأخلاق كوظيفة أولى وهذه متقدمة على الكل ولما كانت الأعمال بالنيات كما أكد الرسول الكريم كان واجباً على المتعلم أن ينوى وجه الله بالعلم الذى يطلبه فمن لم يزد بالعلم ورعاً وزهداً لم يزد من الله إلا مقتاً وبعداً" (١).

وفى هذا الصدد يشير الإمام ابن الحاج "لكى يتصف المتعلم بالأخلاق الحميدة، عليه أن يبني أمره على أصل صحيح جيدٍ يعمل ثم بعد ذلك يبني عليه والأساس الذى يحتاج إليه المبتدئ فى هذا الفن اتباع السلف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فيما أخذ بسبيله وكان أحوالهم رضى الله عنهم الهرب من الدنيا، وأسبابها، فإن فتح عليهم بشىء منها قالوا: ذنبٌ عجلت عقوبته، وإن أصابهم ضيقٌ سرى! بذلك وفرحوا به، وكان ذلك غنيمتهم ولأجل ذلك جعلهم الله أئمةً يُقتدى بهم، ويُرجع إلى أقوالهم، وأحوالهم وإن قال قائل: قد كان فى السلف الصالح رضوان الله عليهم أكابر لهم أموال، وأسباب، فالجواب: أن اتخاذهم الأموال، والعمل على الأسباب لا يمنع إذا دخل فيها على ما كان عليه السلف رضى الله عنهم فى عدم تعلق القلب بها، إذ أنهم كانوا فيها سواءً أقبلت أو أدبرت قابلوها بالإيثار، والبذل لله، وإن أدبرت قابلوها بالصبر، والرضا، والتسليم لمن الأمر بيده وهمتهم، وبغيتهم إنما كان تحصيل زدهم لمعادهم فى الفقر، والغنى، والحركة، والسكون" (٢).

وقد رسم ابن الحاج فى هذا النص نموذجاً فريداً فى الاقتداء بالسلف الصالح فيجب على طالب العلم "أن يكون مقتدياً بهم فى رضى أخلاقهم متشبهاً فى جميع

(١) سعيد إسماعيل على، اتجاهات الفكر التربوي الإسلامى، مرجع سابق، ص ٩٠.

(٢) ابن الحاج العنبرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٢٠: ١٢١.

أفعالهم ليصير بهم آلفاً وعليهم ناشئاً ولما خالفها مجانِباً لقوله ﷺ : من تشبهه يقوم فهو منهم" (\*)(١).

وينبغي لطالب العلم "أن يتعهد طهارة النفس عن رذائل الأخلاق، ومذموم الصفات، باتباع سنة النبي ﷺ ، والتمسك بها، والعض عليها، لأن أهل العلم أولى الناس بذلك، فهم ورثة النبي ﷺ وأحق الناس بالافتداء به، والقص على أثره، ﷺ" (٢).

وينبغي لطالب العلم "أن يقصد من تعلمه تجميل روجه بالفضيلة وأن يكون طاهراً نقياً مجانِباً للصفات الحسية مقبلاً على الصفات الرجحية ساعياً إلى التحقق بالذات العلية" (٣).

#### ٥- أن يتصف بتقوى الله سبحانه وتعالى؛

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة تحلية طالب العلم بتقوى الله سبحانه وتعالى وذلك لأهميتها ومنزتها الرفيعة" فهي جماع كل خير، وسبب كل نجاة، ولقاح كل رشد، هي أحرز حرنً وأقوى معيناً، وأمتع جنهً، فهي رأس كل تديير ومصدر كل سياسة ليكون الله دوماً وأبداً هو أول كل أمر وآخره" (٤).

ويورد الإمام ابن الحاج "إذا اتصف المتعلم بالتقوى كان الله ﷻ معلمه، وهاديه ومن كان الله تعالى معلمه، وهاديه، فلا تسأل عن حاله .

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أَحْفَىٰ هُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ... ﴾ (٥)

(\* ) - الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق، ج (١٠)، ص ٢٧١.

- أبو شيبة، مرجع سابق، ج(٦) ص ٤٧١.

- معمر بن راشد، مرجع سابق، ج(١١) ص ٤٥٣.

(١) الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد الماوردي)، أدب الدنيا والدين، تحقيق: سليمان سليم البواب، (دمشق: دار الحكمة، ١٩٩٤م) ص ٣٠.

(٢) محمد بن سعيد بن رسلان، مرجع سابق، ص ١٧.

(٣) لطفى بركات أحد، في الفكر التربوي الإسلامي، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٤) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن المقفع، الجاحظ، عبد الرحمن الكاتب، مرجع سابق، ص ٢٦٢.

(٥) سورة السجدة : من الآية ١٧ .

وهذا لفظاً عاماً فقد يَحْصُلُ للمتعلّم نفائس من المسائل لا تُؤخَذُ بالدرس، ولا بالشرح لأجل ما حصل من قوله ويعلمكم الله، وأكد ما عليه في التقوى، اجتناب المحارم لقوله عليه الصلاة والسلام "اتق المحارم تكن أعبد الناس" (\*).  
وقوله ﷺ : ما نهيتكم عنه فلا تقربوا" (\*\*).

فإذا اتصف بهذه الصفة كان أعبد الناس، وإن لم يكن له كثيرٌ من العمل، ومن أكد الأمور عليه تخلص ذمته من إخوانه، وجلسائه، ومعارفه، وغيرهم إذ تخلص الذمة هو المطلوب والمقصود الأعظم<sup>(١)</sup>.

وفي هذا النص يؤكد الإمام ابن الحاج على ضرورة أن "يأخذ طالب العلم- نفسه بالورع في جميع شأنه، ويتحرى الحلال في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه، وفي جميع ما يحتاج إليه هو ووعيله ليستنير قلبه، ويصلح لقبول العلم ونوره، والنفع به، ويقتدى بمن سلف من العلماء الصالحين في التورع"<sup>(٢)</sup>.

وينبغي للمتعلّم أن يلزم التقوى "ومجاهدة النفس عما حرمه الله أو ما فيه شبه سمو بالنفس وصيانة للعلم بتدريب نفسه على معالي الأمور التي فيها كمال النفس"<sup>(٣)</sup>.

## ٦- أن يتحفظ من الغيبة والنميمة :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يتحفظ طالب العلم في نفسه ودرسه من الغيبة والنميمة التي عمّت بها البلوى وتعاضمت بها المفاصد .

(\* الترمذى، سنن الترمذى، مرجع سابق، ج(٤)، ص ٥٥١. بلفظ "اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تمّت القلب".

(\*\*) - ابن حبان، مرجع سابق، ج(١)، ص ١٩٨.

- أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ج(٢)، ص ٢٤٧.

- الحميدى، (الإمام عبد الله بن الزبير أبو بكر الحميدى، ت ٢١٩هـ)، مسند الحميدى، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، ج(٢)، (بيروت: دار الكتب العلمية، دت)، ص ٤٧٧.

- ابن رجب الحنبلى، مرجع سابق، ج(١)، ص ١٠.

(١) ابن الحاج العنبرى، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٢٢.

(٢) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٤٣.

(٣) أحمد محمد إبراهيم فلاتة، مرجع سابق، ص ص ٧٢ : ٧٣.

فقد قال رسول الله ﷺ "لا يدخل الجنة قتات" (\*) وسئل النبي ﷺ عن الغيبة فقال  
 ذكرك أخاك بما يكره .

قال: رأيت إن كان في أخى ما أقول؟

قال: إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته" (\*\*).

فيجب على طالب العلم أن يحذر من آفات اللسان ومنها الغيبة والنميمة.

وفى هذا الصدد يورد الإمام ابن الحاج "ينبغي للمتعلم أن يحذر من هذين الأمرين  
 الخطرين اللذين عمت بهما البلوى لكثرة وقوعهما على الألس، وهما الغيبة والنميمة  
 فالنميمة أن تنقل حديث قوم إلى الآخرين، والغيبة: أن تقول في غيبة الشخص ما يكره،  
 وإن كان حقاً، وأما إن كان ذلك القول باطلاً فهو البهتان بغيبة وإن غيبة كل إنسان  
 بحسب حاله .

قال الشيخ الأمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: غيبة الصالحين في ثلاثٍ منها أن  
 يذكر شخص بين أيديهم فيقولون: اللهم تب عليه، وكذلك يقعون بسبب غيرتهم في الدين  
 يقولون: فلانُ فعل كذا، وكذا على سبيل الغيرة منهم في دين الله تعالى، وكذلك شفقتهم  
 ورحمتهم على بعض الناس فيقولون: مسكين فلان، واقع كذا، وكذا مما يكره ذكره المقول  
 فإذا تقرر هذا، وعلم فيحتاج العالم، والمتعلم أن يكونا متيقظين لهذه الأمور، وما شاكلها  
 ويتحفظان منها إذ أن يتحفظهما يتحفظ كل من رآهما أو علم حالهما؛ لأنهما قدوة  
 للمهتدين<sup>(١)</sup>.

(\*) - الطبراني، المعجم الأوسط، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٧٨.

- القضاعي، مرجع سابق، ج (٢)، ص ٥٨.

- ابن المبارك، مرجع سابق، ج (١)، ص ٢٤٥.

- أبو عوانة، مرجع سابق، ج (١)، ص ٣٢.

(\*\*) - مسلم، مرجع سابق، ج (١)، ص ٢٠١.

- أبو يعلى، مرجع سابق، ج (١١)، ص ٣٧٨.

- ابن رجب الحنبلي، مرجع سابق، ج (١)، ص ٣٣٥.

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م (١)، ج (١)، ص ١٢٢ : ١٢٤.

ويقول الغزالي في هذا المضمون محذراً الصبي " أى بنى: أنى رأيت الناس ينم بعضهم بعضاً ويغتاب بعضهم بعضاً، فوجدت ذلك من الحسد فى المال والجاه والعلم فتأملت قوله تعالى:

﴿... نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... ﴾ (١)

فعلمت أن القسمة كانت من الله تعالى فى الأثر فما حسدت أحداً، ورضيت بقسمة الله تعالى" (٢).

ويجب على طالب العلم "أن يحترز من أن يصبح مشهوراً ومذكوراً بين الناس بسوء القالة والنميمة والألفاظ المستهجنة والكلمات الموحشة" (٣).

وقال رسول الله ﷺ: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت" (\*) فطالب العلم يستحب له ما هو فيه من الطلب والتحصيل عن التفكير فى أحوال الناس وتعداد مساوئهم فيشغله ذلك عن مهمته الأساسية من البحث والاطلاع والمناقشة ومدارسة مسائل العلم.

#### ٧- ألا يمنع طلب العلم عن العمل لكسب أسباب الحياة :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يلتمس طالب العلم عملاً يتكسب منه فيكون معيناً له على طلب العلم ومعاش الحياة ويحميه من الإذلال لطلاب الدنيا وحفظ مرءته وخلقه ومكانته وقد سار على هذا السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

فيذكر الإمام ابن الحاج "كان بعض طلبة العلم بالمغرب يأخذون المسحاة، ويأتون إلى مواقف البنائين، فإن حصل لهم سبب مشوا فيه يومهم ذلك، وإلا رجعوا إلى الدرس

(١) سورة الزخرف : من الآية ٣٢ .

(٢) الغزالي، رسالة أيها الولد، تحقيق: إبراهيم محمد البطاوى، (القاهرة: دار الإنسان، ١٩٧٦م)، ص٣٢.

(٣) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن المقفع، الجاحظ، عبد الرحمن الكاتب، مرجع سابق، ص٢٣٨.

(\*) - الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق، ج(٨)، ص١٦٩.

- الطبراني، المعجم الكبير، مرجع سابق، ج(١٠)، ص١٩٦.

- القضاى، مرجع سابق، ج(١)، ص٢٨٦.

والحاصل من هذا أن يدخل المتعلم إلى تعلم العلم بجدٍّ واجتهادٍ، وحسن نيةٍ، وترك الألتفات إلى العوارض، والأسباب، والعوائد التي انتحلت في هذا الزمان، وهو مخيرٌ في الأسباب الشرعية هل يقدم عليها، أو يتركها ثقةً به ﷺ، فإن قال قائل "إنه لا يمكن لطالب العلم التسبب في الصنائع؛ لأنه قد يخرج به عن سمته، وقاره، وزيه فالجواب: أن هذا من البدع التي أحدثت؛ لأن السلف رضوان الله عليهم أجمعين لم يكن عندهم فرق في الزي، ولا اللبس لفقهيهِ، ولا لغيرهِ" (١).

ففي هذا النص يورد الإمام ابن الحاج اشتغال بعض طلبة العلم بالصنائع المختلفة لصيانة نفسه وكسب معاشه، ويذكر الإمام ابن الجوزي "رأيت جماعة ممن أفنى أوائل عمره، وريعان شبابه في طلب العلم صبر على أنواع الأذى، وهجر فنون الراحة، أنفة من الجهل ورزيلته وطلباً للعلم وفضيلته، فلما نال منه طرفاً رفعه عن مراتب أرباب الدنيا ومن لا علم له إلا بالعاجل، ضاق به معاشه، فسافر في البلاد يطلب من الأراذل، ويتواضع للسفلة وأهل الدناءة والمكاس وغيرهم، فخاصب بعضهم وقتلت ويحك أين تلك الأنفة من الجهل الذي سهرت لأجلها، وأظلمات نهارك بسببها، فلما ارتفعت وانتفعت عدت إلى أسفل سافلين؟" (٢).

لذلك فمن واجب الدولة أن توفر لطالب العلم ما يقتات به في معاش حياته حتى يتفرغ للبحث والمطالعة وإيراد مسائل العلم وصرف همته وجهه لطلب العلم والاستزادة منه.

ثم يورد الإمام ابن الحاج مثلاً نموذجاً يحتذى به للسلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم لحض المتعلم على العمل فيذكر "الشيخ الجليل المعروف بالزيات رحمه الله، وكان من أكابر العلماء الصلحاء في وقته إذا جلس إلى الدرس يجتمع له نحو من أربعمائة

(١) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ١١٨ : ١٢٠.  
 (٢) ابن الجوزي، وصايا ونصائح لطالب العلم، السلسلة الإرشادية (٧)، تحقيق: محمد بن إبراهيم الشيباني، (الصفاء مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ١٩٩٤م)، ص ٦٦.

أو ستمائة من الفقهاء يحضرون عليه، فإذا فرغ من مجلسه قام، ودخل بيته، وأخرج ما يحتاج إليه على رأسه، أو فى يده من قمح يطحنه، أو عجين يخبزه، أو شراء خضرة أو حاجة من السوق، أو حصاد لزعه بيده، أو غسل ثياب إلى غير ذلك من الحوائج" (١).

فهذه صورة للسلف الصالح فى الاشتغال والعمل بأسباب الدنيا لكسب العيش الذى يعطى لطالب العلم القدوة والمثل للتأسى بهم فى أقوالهم وأفعالهم.

#### ٨- حرية المتعلم فى اختيار أستاذه:

يؤكد فقهاء المالكية على دعم حرية طالب العلم فى اختيار أستاذه لأن "المتعلم يحتاج إلى الأستاذ ليكتسب منه علماً وخلقاً وأساليب تعلم" (٢).

لذلك فقد كفّلوا للمتعلم حرية اختياره لعدم اقتصار عطاء المعلمين على تزويد المتعلمين بالعلوم والمعارف داخل الصف الدراسى بل لامتدادها خارجه، ووضعوا شرطاً فى اختيار الأستاذ منها الصلاح والعلم وتمام الفائدة منه.

وفى هذا المضمون يشير ابن الحاج "ينبغي للمتعلم أن لا يخرج من المدرسة إلى غيرها، ولا من المسجد إلى غيره، إلا لفائدة من زيادة العلم، أما لأن يكون مدرس المدرسة الأخرى أعلم، أو أفيد، أو أصلح من الأول" (٣).

وهذه إشارة صريحة وواضحة توجه المتعلم إلى "انتقاء معلم ذكى ناصح أمين ليقدّم له العون عن رضا وطيب خاطر" (٤).

واشترط السادة المالكية ضرورة صلاح أمر الأستاذ بالأخلاق الكريمة :

"قال أبو حنيفة فى أستاذه الذى اختاره: وجدته شيخاً وقوراً حليماً صبوراً" (٥).

(١) ابن الحاج العنبرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ١١٩.

(٢) أحمد محمد إبراهيم فلاتة، مرجع سابق، ص ٩٥.

(٣) ابن الحاج العنبرى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ١١٥.

(٤) لطفى بركات أحمد، فى الفكر التربوى الإسلامى، مرجع سابق، ص ٩٩.

(٥) أحمد محمد إبراهيم فلاتة، مرجع سابق، ص ١٠١.

فهنا "تقدير للعلاقة العلمية والتواصل العلمي بين العلماء والمتعلمين فلا يكفي للمتعلم أن يأخذ علمه من بطون الكتب، وأن يعيش في دائرة مغلقة في قراءاته دون الاحتكاك العلمي بالآخرين العاملين في المجال، فاحتكاك العلماء وتبادل الآراء والحوار والنقاش هي وسائل النضج العلمي الحقيقي" (١).

لذلك اشترط فقهاء المالكية ضرورة احتكاك المتعلم بالمعلم الصالح النقي الورع.

٩- تلقى العلم مباشرة من أصحابه :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يأخذ المتعلم العلم عن أصحابه النابغين في فن العلم الذي هو بصده لأن "البحث في العلوم والعمل بها يتطلب الرجوع إلى مصادرها وإلى أصحابها وهو المناسب لصناعتها" (٢).

فيورد الإمام ابن الحاج "ينبغي للمتعلم إن اضطر إلى مسألة فليسأل عنها أهل العلم وحينئذ يُقدم عليها" (٣).

١٠- أن يحذر من مخالطة أهل البدع :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يلازم طالب العلم الصالح والفضلاء من العلماء وعدم مخالطة أصحاب البدع والأهواء ورفقاء السوء "فيجب على طالب العلم أن يظهر ظاهرة بمجانبة البدعة، والتحلى بسنن رسول الله ﷺ في أحواله كلها" (٤).

ويشير الإمام ابن الحاج "ينبغي للمتعلم أن يحذر من أن يزيّر أهل البدع، وممن لا خطر له في الدين بالتمويه، وبعض الإشارات، والعبارات، مع أنه قد قل في هذا الزمان من يضطر إلى ذلك من المدعين بل قد تجد بعض من ينسب إلى أهل العلم يقعد بين يدي بعض من يدعى الفقر والولاية، وهو مكشوف العورة، وقد تذهب عليه أوقات الصلاة، وهو لم يصل، ويعتدرون عنه بأنه يحزب على نفسه.

(١) المرجع السابق، ص ١٠١: ١٠٢.

(٢) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، مرجع سابق، ص ٧٨.

(٣) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م (١)، ج (٢)، ص ١١٥.

(٤) محمد بن سعيد بن رسلان، مرجع سابق، ص ١٤٠.

فينبغي لطالب العلم بل يتعين عليه أن تكون السنة عنده أعظم مطلوبٍ، ويغار عليها أن تغيرت معالمها بأن ينسب إليها ما ليس منها فإذا تعارض لطالب العلم المحافظة على السنة، وزيارة من يخالف شيئاً منها، فالترك لزيارته متعين عليه ولا يجوز له غير ذلك" (١).

وهنا يشير الإمام ابن الحاج إلى لمحة من آداب الزيارة لطالب العلم فيجب عليه زيارة الفضلاء والعلماء لا أهل البدع فيأخذ نفسه بالصون من مخالطة أهل الشبهات والبدع، "وعن مالك رحمه الله: السنة سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق فأهل السنة والجماعة المعتصمون بالكتاب والسنة في أمن وأمان، في نجاة وسلامة :

﴿...أَوْلَيْتِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢)

وأهل البدع والشرك فارقون متفرقون، بكل فتنة متنقلون، شاكون لا قلب مطمئن ولا جسم مستريح فالبدع على اختلاف أنواعها، تقتل منهم ملايين البشر في كل ثانية ونفس" (٣).

وعلى هذا وجب على طالب العلم أن يتحفظ على نفسه في الخوض والاشتراك والزيارة لأهل البدع لما فيه من عظيم المفسدة عليه.

#### ١١- أن يواظب على لقاء مشايخ العلم :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة مواظبة طالب العالم في لقاء أساتذته ويجعلون ذلك من شروط التعليم "فينبغي لطالب العالم أن يكون حريصاً على التعليم مواظباً عليه وعلى مشايخ العلم في جميع الأوقات التي يتمكن منه فيها، ولا يقتنع بالقليل مع تمكنه من الكثير" (٤).

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ١٣١.

(٢) سورة الزخرف : من الآية ٣٢ .

(٣) محمد بن عبد الرحمن المغراوي، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٤) أحمد فريد، البحر الرائق في الزهد والرقائق، ط(٢)، (جدة: مكتبة الصحافة، ١٩٩١م)، ص ٤١.

فيورد الإمام ابن الحاج في هذا المضمون "ينبغي للمتعلم أن يواظب على لقاء مشايخ العلم الذين جعلهم الله سبباً للفتح، والخير وأن يواظب على المطالعة والتفهم والبحث والاشتغال بالدرس مع الأخوان الذين يرجو النفع بهم"<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا يجب على طالب العلم "أن يلزم حلقة شيخه في التدريس والإقراء، بل وجميع مجالسه إذا أمكن، ويجتهد على مواظبة خدمته والمسارعة إليها"<sup>(٢)</sup>.  
"وأن يجتهد في أن يسبق الحضور إلى المجلس قبل حضور الشيخ .

كان أبو علي النحوي المعروف بقطرب (ت ٢٠٦هـ) من أشهر تلاميذه سيبويه. وكان حريصاً على الاشتغال والتعليم وكان يبكر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلاميذ، فقال له يوماً ما أنت إلا قطرب ليل فبقى عليه هذا اللقب. وكان قطرب هذا ممن روى عن الصادق"<sup>(٣)</sup>.

ويجب على طالب العلم أيضاً أن يواظب على المدارس والمناقشة مع أقرانه بالمناظرة أو المذاكرة لتعم الإفادة.

#### ١٢- أن تتساوى عنده مواضع الجلوس عند أخذ الدروس :

وهذا يؤكد فقهاء المالكية على العلاقة بين الطالب وزملائه في قاعة الدرس فيجب على طالب العلم "أن يجلس حيث ينتهي به المجلس ولا يتخطى رقاب الآخرين لاختيار المكان القريب من الأستاذ ويوسع لزميله"<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا المضمون يشير ابن الحاج ينبغي لطالب العلم أن يتساوى عنده مواضع الجلوس في الارتفاع، والانخفاض، كل ذلك عنده سواء فحيث أجلسه الله جلس، وما ساقه الله إليه رضي، وشكره، وما منعه منه حمده على ذلك، ورآه من ربه عز وجل عطاءً"<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٣٠.

(٢) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٦٣.

(٣) عبد الله دخيل النياض، مرجع سابق، ص ص ٢٠٥ : ٢٠٦.

(٤) أحمد محمد إبراهيم فلاتة، مرجع سابق، ص ص ١٦٣ : ١٦٥.

(٥) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ١٢١.

ومن هذا النص يجب على طالب العلم ألا يزاحم أقرانه في المجلس فيرضى بما يقسمه الله له في جلوسه ويشكره على نعمته ليحسن النية في طلب العلم ويعينه الله على فهمه والانتفاع به ويستحب له في جلوسه أن يكون مستقبل القبلة لنعم البركة بإذن الله تعالى عليه.

١٣- أن يمزج أول طلبه للعلم بالتعبد لله فلا يخلى نفسه من الأوراد :

يؤكد فقهاء المالكية أن من أغراض التربية والتعليم عبادة الله والتقرب إليه بالفرائض والنوافل والأوراد فيؤكدون على طالب العلم ضرورة مزج طلبه للعلم بإخلاص العبادة لله والمحافظة على أداء الطاعات حيث إن "الغرض من التربية الإسلامية تحقيق الهدف الديني وهو العمل للأخرة، والهدف العلمي وهو العمل للدنيا" (١).

ويشير ابن الحاج في هذا الصدد "ينبغي للمتعلم أن لا يخلى نفسه من العبادات وأن يكون له وردٌ من كل شيء منها إذ أنها سبب الإعانة على ما أخذ بسبيله لقوله ﷺ "واستعينوا بالغدوة، والريحة، وشيء من الدلجة" (\*).

فينبغي للمتعلم في أول طلبه العلم أن يمزجه بالتعبد .

فقد قال عبد الله بن مسعود ﷺ : العلم كالشجرة، والتعبد كالثمرة، فإذا كانت الشجرة لا ثمر بها فليس لها فائدة كلية، وإن كانت حسنة المنظر ناعمة وقد ينتفع بها للظل وغيره، ولكن الذي عليه المعمول قد عدم منها" (٢).

وهنا يجعل فقهاء المالكية الغاية من التعليم بوجه عام التقرب إلى الله بحسن أداء العبادات والطاعات.

(١) عزت جرادات وآخرون، مرجع سابق، ص ٩٧.

(\*) - البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج(١)، ص ١١٦.

- النسائي، السنن الكبرى، مرجع سابق، ج(٨)، ص ١٢٢.

- أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ج(٤)، ص ٤٢٢.

(٢) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ص ١٢٤ : ١٢٥.

#### ١٤- العمل بالعلم :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يكون طالب العلم عاملاً بعلمه، وفي هذا الصدد يشير الإمام ابن الحاج "ينبغي لطالب العلم أن يكون عمله في علمه مثل الملح في العجين إن عدم منه لم ينتفع به، والقليل منه يصلحه، فينبغي له أن يشد على مداومته على فعل السنن، والرواتب، وما كان منها تبعاً للفرض قبله أو بعده فإظهارها في المسجد أفضل من فعلها في بيته" (١).

ويجب على طالب العلم في ضوء ذلك أن يكون عمله ترجمةً لعلمه لأن "كل من القوتين تقوى بالآخر: فالعلم يقوى العمل، والعمل يقوى العلم، فمن عرف الله وقلبه سليم أحبه، وكلما ازداد له معرفةً ازداد حبه له، وكلما ازداد حبه له ازداد ذكره له ومعرفته بأسمائه وصفاته، فإن قوة الحب توجب كثرة ذكر المحبوب" (٢)، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ... ﴾ (٣)

وقوله تعالى :

﴿... وَلَا تَطَّعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ (٤)

لذلك وجب على طالب العلم مزج علمه بعمله لأنه قدوةٌ لغيره، في الأثر والاتباع .

#### ١٥- أن يحافظ على قيام الليل :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يمزج طالب العلم علمه بتمام العبادة والطاعة لله وليس أفضل من قيام الليل فيوجبون عليه أن يكون له وترٌ وحظٌّ من الركوع والسجود في الليل مع طلبه للعلم لأن "أجود أوقات الحفظ الأسحار، وحفظ الليل أنفع من حفظ

(١) المرجع السابق، م(١)، ج(٢)، ص ١٢٥ : ١٢٦.

(٢) ابن تيمية، العلم والعمل، التقريب والتنهيد لعلوم شيخ الإسلام، القسم الأول، (الفتح المبين من قواعد الملقومقاصد الدين (٥-٦)، تحقيق: أحمد فريد، عبد السلام بن محمد بن عبد الكريم، ط(٢)، (القاهرة: المكتبة الإسلامية ٢٠٠٠م)، ص ٤٠.

(٣) سورة الحشر : من الآية ١٩ .

(٤) سورة الكهف : من الآية ٢٨ .

النهار، فيجب لطالب العلم أن يقسم أوقات نهاره، ويليه حتى يغتنم الوقت المناسب للحفظ" (١).

وإن كان فقهاء المالكية قد نبهوا طالب العلم إلى قيام الليل بالعبادة فقط لتحصل له البركة فإننا نستحسن أيضاً أن يكون له بجانب العبادة طرفاً لقراءة ومدارسة العلم فقد كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله يقسم ليله بين العبادة وطلب العلم. ويشير الإمام ابن الحاج "ينبغي للمتعلم أن يحافظ على قيام الليل، ولا يخلى نفسه منه، وهو خمس تسليمات غير الوتر، ويقرأ فيها بما خف من القرآن يكون له في تلك الركعات حزبٌ معلوم من حزبين أو ثلاثة، لأن أحب العمل إلى الله أدومه، وفي قيام الليل من الفوائد جملة، فلا ينبغي لطالب العلم أن يفوته منها شيء فمنها:

١- أن يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجر.

٢- أنه ينور القلب.

٣- أنه يحسن الوجه.

٤- أنه يذهب الكسل، وينشط البدن.

٥- أن موضعه تراه الملائكة من السماء كما يترأى الكوكب الدرى لنا في السماء.

وقال رسول الله ﷺ "عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربه إلى الله ومنهأة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد" (\*).

وقوله ﷺ : من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من

القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المنتظرين" (\*\*)(٢).

(١) سعيد إسماعيل علي، اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي، مرجع سابق، ص ٩٤.

(\*) البيهقي، شعب الإيمان، مرجع سابق، ج(٣)، ص ١٢٨.

(\*\*) - ابن خزيمة، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٨١.

- ابن حبان، مرجع سابق، ج(٦)، ص ٣٠٠.

(٢) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ١٢٦.

فيذكر أمامنا ابن الحاج لفوائد القيام بالليل للعبادة فما بالناس إن مزجها طالب العلم بمداينة مسائله فقد يكون له أجورٌ مضاعفةٌ وإن كان الإمام ابن الحاج في النص التالي يعترض على قيام الليل للعبادة ولذاكرة بقوله :

"ومن يقل: إن طالب العلم إن فعل ما ذكرتموه تعطلت عليه وظائفه من الدرس والمطالعة، والبحث فالجواب: إن نفعةً من هذه النفحات تعود على طالب العلم بالبركات، والأنوار، والتحف ما قد يعجز الواسف عن وصفه، وبركة ذلك يحصل له أضعاف ذلك فيما بعد، مع أن هذا أمرٌ عزيزٌ قل أن يقع إلا للمعتنى به، والعلم والعمل إنما هما وسيلتان لمثل هذه النفحات"<sup>(١)</sup>.

ويبدو من النص السابق أن ابن الحاج يلزم طالب العلم بطلب التعليم والمطالعة والبحث في نهار اليوم ثم يفرغ قلبه بالليل لطاعة الله سبحانه وتعالى للتعرض لهذه النفحات الإيمانية.

#### ١٦- أن يحافظ على ورد الصوم :

ومرة أخرى يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة تأدب المتعلم بأداب الشريعة الإسلامية فبجانب أداء العبادات والطاعات وجب عليه أن يحافظ على أورد الصوم ويورد الإمام ابن الحاج "ينبغي للمتعلم أن يحافظ على ورد الصوم، ولا ينبغي له أن يتعطل بأنه مشغولٌ عنه بطلب العلم، إذ صيام ثلاثة أيام في الشهر ليس فيها كبير مشقة في الغالب سيما على ما كان يصومها مالك رحمه الله، فإنه كان يفطر تسعة أيام، ويصوم عاشرها، فإذا ادعى أن يعجز عن صوم ثلاثة أيام في الشهر مع طلبه العلم فينبغي لهذا أن يترك طلب العلم في تلك الثلاثة، ويصومها، لئلا تفوته هذه الفضيلة العظمى لقوله ﷺ: "الحسنة بعشر" (\*)(٢).

(١) المرجع السابق، م(١)، ج(٢)، ص ص ١٢٦ : ١٢٩.

(\* - الدرامي، مرجع سابق، ج(٢)، ص ٤٠٥.

- منصور (الإمام سعيد بن منصور)، سنن سعيد بن منصور، تحقيق: سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، ج(٥)، (الرياض: دار العصيمي، ١٤١٤هـ)، ص ٣١٢.

- ابن حميد (الإمام عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكشي)، مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدرى السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، ج(١)، (القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٨٨م)، ص ٢٩٧.

(٢) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ص ١٣٠.

فهنا يؤكد فقهاء المالكية على أن غرض التربية إنما هو التقرب إلى الله وعبادة الصوم لها عميق الأثر في شخصية المتعلم فيوجبون عليه ألا تفوته هذه الفضيلة لأن بالصوم "يزكو القلب، وتصفو النفس، وتهذب الروح، ويصير الإنسان منبجاً فياضاً للخير على نفسه، وعلى بنى وطنه وجنسه، وبهذا يقترب من الملاء الأعلى، ويتلقى التكليف الإلهية والواجبات الاجتماعية، بقوة لا تعرف الضعف، وثبات لا يعرف الملل، وإخلاص لا يعرف الرياء، وإيمان لا يعرف الشك" (١).

لهذا أكد فقهاء المالكية على ضرورة أن بعض طالب العلم يده على هذه العبادة ويواظب على أدائها.

#### ١٧- أن يواظب على الاشتغال بالعلم يوم الجمعة :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يجد طالب العلم ويجتهد في طلبه لأن آفة العلم النسيان فمتابعة المطالعة والمدارسة تنفي عنه نسيانه واختلاط فيه فأكدوا عليه أن لا يخلى نفسه يوم الجمعة من البحث والقراءة.

وفي هذا الصدد يورد الإمام ابن الحاج "ينبغي لطالب العلم أن يكون مواظباً على الاشتغال به فإن الترتك مضرٌ ولو قل، فلا ينبغي أن يترك الاشتغال إلا لضرورة شرعية تتعين عليه، فإذا كان يوم الجمعة فلا ينبغي له أن يترك الاشتغال فيه؛ لأنه يوم فضل عظيم فينبغي له أن يبادر إلى أفضل الأعمال فيعملها فيه، وأفضل الأعمال طلب العلم، لكن إن اشتغل بذلك في أول النهار قد يخشى أن يفوته بسببه شيء من وظائف الجمعة مثل الغسل، وقص الشارب، والأظافر، وغير ذلك، فينبغي له أن يكون اشتغاله بعد انصرافه من صلاة الجمعة" (٢).

(١) محمود شلتوت، مرجع سابق، ص ١١٢.

(٢) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ١٣٥: ١٣٦.

ويشير الإمام ابن الحاج في هذا النص إلى ضرورة اشتغال طالب العلم بالمدرسة والمطالعة في جميع أيام الأسبوع بما فيها يوم الجمعة بشرط ألا يشغله ذلك عن أداء صلاة الجمعة في وقتها ولنا في السلف الصالح القدوة فقد كان "أبو الريحان البيروني محمد بن أحمد الخوارزمي يدارس العلم حتى وهو يوجد بنفسه ويحتصر"<sup>(١)</sup>.  
وقد كره الإمام الحطاب "ترك العمل يوم الجمعة إذ بتركه تعظيماً لليوم كما يفعل أهل الكتاب"<sup>(٢)</sup>.

ويذكر أيضاً "أن النبي ﷺ كان يأمر بمخالفة أهل الكتاب، وينهى عن التشبه بهم روى عنه ﷺ "ألحدوا، ولا تشقوا فإن اللحد لنا، والشق لغيرنا"<sup>(\*)</sup> أي أهل الكتاب، وأنه قال ﷺ فصل ما بين صيامنا، وصيام أهل الكتاب أكله السحور"<sup>(\*\*)(٣)</sup>.

فكيف يترك طالب العلم المطالعة يوم الجمعة وهو المطالب "بأن يظل في طلبه أبداً في جميع أوقاته؛ ليلاً ونهاراً حضراً وسفراً"<sup>(٤)</sup>.

#### ١٨- توقير العلماء واحترامهم :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يحترم المتعلم أستاذه ويجعلون ذلك من دأب السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين المطالبين بالتأسي والإقتداء بهم وذلك "لأن المعلم هو الذي يفتح عيون المتعلم على حقائق كان يجهلها، ولأنه هو الذي يغذيه بالمعارف والقيم والاتجاهات، حظى بالاحترام بالتقدير في الكتابات الإسلامية إلى الدرجة التي جعلت كثيرين منهم يعتبره؛ المالك الحقيقي لكل من تعلم على يديه.

(١) أحمد مصطفى، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٢) الحطاب، مرجع سابق، ج (٢)، ص ٥٤٨.

(\*) - السيوطي، أسباب ورود الحديث، مرجع سابق، ج (١)، ص ١١٦.

- الكتاني، مرجع سابق، ج (٢)، ص ٣٩.

(\*\*) - النسائي، السنن الكبرى، مرجع سابق، ج (٢)، ص ٨٠.

- النسائي، سنن النسائي (المجتبى)، مرجع سابق، ج (٤)، ص ١٤٦.

(٣) ابن الحطاب، مرجع سابق، م (٢)، ص ٥٤٨.

(٤) أبو عبد الله محمد بن سعيد بن رسلان، مراتب طلب العلم وطرق تحصيله، رسائل العلم النافع، (القاهرة: مكتبة المدينة المنورة، ١٩٩٨م)، ص ١٣٨.

قال "شعبة(\*)": "كل من كتبت عنه حديثاً فأنا له عبد" (١).

وقال رسول الله ﷺ من علم عبد آية من كتاب الله تعالى، فهو مولاه ينبغي له ألا يخذله ولا يستأثر عليه" (\*\*).

وفى هذا الصدد يشير الإمام ابن الحاج "ومن الخفض لهم والإكرام أن يحترموا بالقيام لا على طريق الرياء والإعظام بل على طريق التكرّم والاحترام وعلى هذا استمر من لا يحصى من علماء الإسلام وأهل الصلاح والورع وغيرهم من الأمثال والأعلام، والقيام له على وجه البر لا على وجه التعظيم، وأنكر مالك رحمه الله تقبيل يد العلماء أو الصلحاء في المشهور عنه وأجاز؛ غير"، (٢).

ومن هذا النص يجب على طالب العلم "أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته" (٣).

"فالإفادة المرجوة من المعلم لا تكون إلا إذا تحقق الاحترام والتقدير له" (٤) "والتوقف موقوف الإجلال له في حضوره وغيابه" (٥).

(\*) هو الإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث شعبه بن الحجاج بن الورد، وكنيته أبو بسطام الأزدي، ت: ١٦٠هـ راجع في ذلك:

- ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص ٦٠.
- يخلتل، تاريخ واسط، ص ١٥.
- فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ص ١٣٢.
- جولد تسهيز وأخرون، دائرة المعارف الإسلامية ٢٨٣/١٦.
- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١١٣/٦.
- الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الإعلام ١٩١/٦.
- المرزى، تحفة الأشراف، ص ٧٩.
- القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ص ٣٩١.
- ابن حجر العسقلاني، تقريب التريب ٢٠٧/٢.
- الزركلي، الإعلام، ١٦٤/٣.
- (١) سعيد إسماعيل علي، بحوث في التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٠٣.
- (\*\*) الهيتمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق، ج(١)، ص ١٢٨.
- (٢) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ص ١٦٢: ١٦٥.
- (٣) محمد جواد رضا، مرجع سابق، ص ١٢٥.
- (٤) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند الإمام الغزالي، مرجع سابق، ص ٤٦.
- (٥) يوسف محمد النجار، مرجع سابق، ص ٦٧.

وقد حكى لنا القرآن الكريم قصة سيدنا موسى ﷺ مع سيدنا الخضر عليه السلام، ففي هذه القصة "نلمس بجلاء ووضوح احترام وتوقير سيدنا موسى عليه السلام لسيدنا الخضر عليه السلام، فقد قال له موسى بأدب التلميذ مع المعلم.

﴿... هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۖ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۗ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَيَّ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۗ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۗ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۗ﴾ (١)

ويؤكد الإمام الماوردي على "ضرورة تذلل المتعلم للمعلم لأن التذلل له سبب لإدامه صبره، وإظهار مكنونة فتكون الفائدة والإكثار" (٢).

#### ١٩- اختيار الوقت المناسب للاجتماع بشيخه :

اهتم فقهاء المالكية بنوعية العلاقة بين المتعلم والمعلم لتعظيم إفادة الطالب من معلمه إلى أقصى وأعظم درجة وذلك "لأن العلاقة بين المتعلم وأستاذه عادة ما تفتقر بسبب جهل المتعلم للقواعد المتبعة لزيارة الأستاذ، فمن تأذى منه أستاذه، يحرم بركة العلم، ولا ينتفع بالعلم إلا قليلاً" (٣).

فعلى طالب العلم "أن لا يدخل على الشيخ في غير المجلس العام إلا باستئذان ولا يطرق عليه ليخرج إليه، وإن كان نائماً صبر حتى يستيقظ" (٤). وكذلك يحسن اختيار الوقت للاجتماع به.

وفي هذا الصدد يشير الإمام ابن الحاج "ينبغي أن يكون الطالب مع شيخه أعنى في الاجتماع به مختاراً للأوقات التي يعلم أن الاجتماع به فيها يخف عليه تحرن من أن

(١) سورة الكهف : الآية من ٦٦ : ٧٠ ؛ يوسف القرضاوي، في الطريق إلى الله (١)، الحياة الربانية والعلم، (القاهرة مكتبة وهبة، ١٩٩٥)، ص ١٠٧.

(٢) الماوردي، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٣) أحمد محمد إبراهيم فلاتة، مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٤) هشام نشابة، مرجع سابق، ص ١٥١ : ١٥٢.

يجد للاجتماع به كلفةً، فيحرم العلم بسبب ذلك أو بركته لأجل أنه قد يكون الشيخ عنده في ذلك الوقت ما هو أهم عليه من الاجتماع بالناس، وهذا النوع كثيراً ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان تجدهم يعتقدون الشخص، ويقولون ببركته ثم أنهم يختارون الأوقات الفاضلة فيأتون فيها إلى زيارته فيشغلونه عن اغتنام بركة تلك الأوقات، فيصير هو وهم بالسواء أعنى في بطالة تلك الأوقات الشريفة. ألا ترى إلى ما كان عليه حال السلف الصالح في شهر رمضان إذ أنه إذا دخل عليهم تناكر بعضهم من بعض، ونفر كل واحد منهم من صاحبه حتى إذا فرغ اجتمعوا، وأقبل بعضهم على بعض بخلاف ما الحال عليه اليوم، فإنه إذا دخل عليهم شهر رمضان كثر اجتماعهم وزيارتهم فيه، فمن لم يأت منهم إلى قريبه أو صاحبه أو معلمه يجدون عليه، ويقع التشويش بينهم<sup>(١)</sup>.

فيشير النص السابق إلى أهمية اختيار الأوقات التي يجتمع فيها طالب العلم بمعلمه بأن يتجنب الاجتماع به في الأوقات التي توجب عليهما الطاعة والعبادة لله سبحانه وتعالى لكي يغتنموا بركة هذه الأيام بالعبادة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى يعكس النص السابق "الأدبيات التي حرص عليها الفكر التربوي الإسلامي في تنظيم العلاقة بين الطالب والأستاذ، بحيث يراعى الطالب الوقت المناسب للزيارة العلمية والظروف النفسية المناسبة للأستاذ"<sup>(٢)</sup>.

وكذلك اغتنام أيام البركة والفضل بالطاعة لله سبحانه وتعالى.

٢٠- أن يتحفظ طالب العلم من العمل والتشوق إلى المناصب :

يؤكد فقهاء المالكية على طالب العلم أن يتحفظ من طلب المناصب والرياسة والجاه بعلمه وخاصة القضاء والولاية والعدالة والتدريس ليكون جل اهتمامه طلب العلم وإخلاص النية فيه وأن "يتجنب الأسباب الشاغلة عن التحصيل فإذا توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق، ولذلك قيل: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك"<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن الحاج العنبري، مرجع سابق، م(١)، ج(١)، ص ١٨٨.

(٢) أحمد محمد إبراهيم فلاتة، مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٣) أحمد فريد، مرجع سابق، ص ٣٩.

فيشير الإمام ابن الحاج إلى ضرورة ألا يطلب المتعلم التدريس حتى يكون له أهلٌ وعلى أعبائه ومطالبه قادرٌ فيذكر "ينبغي للمتعلم ألا يطلب التدريس، ولا أن يعمل عليه حتى يخطب له، ويجده على وجهه السائح شرعاً من غير أن يدل هو عليه؛ لأن ذلك يُدخل عليه الخلل في نيته"<sup>(١)</sup>.

وفي نص آخر يشير ابن الحاج إلى ضرورة أن يتحفظ طالب العلم أيضاً من التشوق إلى مناصب الولاية والقضاء لما دخلت عليه في هذه الأيام من الرشوة والنفوذ والأمور المنكرة شرعاً. فيذكر "وإن كان ذلك في أخذ الدرس فمن باب الأولى والأحرى في الأحكام بل في الأحكام أشد لما ورد في الحديث "من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين"<sup>(\*)</sup>، فقد كان السلف الصالح يعدون تولية القضاء من الابتلاء، ويستعيذون من ذلك حتى أنهم قد يهجرن بعض من تولى من معارفهم فيتعين لطالب العلم الهرب الكلى من الولاية وأسبابها إذ أنها احتوت - سيما في هذا الزمان - على حظوظ النفوس من الرياسة الموجودة فيها؛ فالزهد في الرياسة أفضل، وأعظم من ألف زهدٍ في المال، وليحذر من أن يميل إلى خاطر النفس فقد تسول له نفسه، أو أحد أنه من الصنف الذين يتعين عليهم الولاية الشرعية فيقع بالقضاء في القضاء"<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا النص إشارةٌ إلى ضرورة أن يتخذ طالب العلم نفسه بالصون من آفات النفس الأمارة بالسوء بالهرب من مناصب الولاية للاشتغال بالعلم والإقبال عليه والانقطاع إلى الله تعالى بالزهد والخلو وقد ذكر "أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومناهجها"<sup>(٣)</sup>.

فطالب العلم أولى بالبعد عنها لإفراغ قلبه لطلب مسائل العلم ومدارستها.

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ١٤٤.

(\*) الدار قطنى، مرجع سابق، ج (٤)، ص ٢٠٤.

(٢) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ص ١٤٤: ١٤٦.

(٣) عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرقي، مرجع سابق، ص ١٩٥.

ويضع فقهاء المالكية شرطاً لاشتغال طالب العلم بالعدالة فيذكر الإمام ابن الحاج<sup>(١)</sup>:

"ينبغي لطالب العلم أن يتحفظ من المناصب فمن أكدها الهرب من العدالة وترك التشوق إليها، إذ أن الخطر فيها أعظم مما في القضاء؛ فعلى هذا كل مَنْ طلب العدالة فهو قدحٌ في عدالته سيما في هذا الزمان لما احتوت عليه من الأمور الفضيعة ومنها الرشوة وبذل المال، وقد يضطر طالب العلم إلى العدالة والجلوس لأجل العائلة، وما يعتور؛ من الضريبات الشرعية لقلة ذات اليد مما يحوجه إلى ذلك أو يكون جلوسه بقصد أحد هذه الوجوه الثلاثة وهي:

(الوجه الأول): أن يجلس لقضاء حوائج المسلمين، والتفريج عنهم، وإرشادهم وتصحيح عقودهم طالباً بذلك الثواب من الله لا لدنيا يصيبها، ولا لثناءٍ وغيره، أمثالاً لقوله ﷺ: والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه<sup>(\*)</sup>.

(الوجه الثاني): أن يجلس للشهادة فإذا جاءه شغلٌ أخذ عليه أجره نسخة للورقة أو أقل منه ليس إلا، فإن زُده على ذلك شيئاً رده عليه، ولم يقبله، وهذا قريب من الوجه الأول في عزه وجوده.

(الوجه الثالث): أن يجلس فإذا جاءه شغلٌ عمله، ولا يطلب عليه شيئاً فإن أعطاه قليلاً رضى به وإن أعطاه كثيراً عن طيب نفس منه لم يرده.

ويرجى له أنه في طاعةٍ لضرورة الناس إليه، ولكن ليحذر من عدة أمور:

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ص ١٥٠: ١٥٦.  
 (\*) النووي، رياض الصالحين، مرجع سابق، ص ص ٩٨: ٩٩. بلفظ "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به علمه لم يسرع به نسيه".

(الأول): أن يكتب سطرًا أو سطرين ثم يترك بياضاً خارجاً عن العادة فهو من باب إضاعة المال، والصرف، والخيلاء.

(الثاني): ليحذر أن يحضر كتب صداق في موضع مفرش بحرير أو يجلس على حرير أو يستند إليه، ويمنع من الدخول تحت السقف المذهب، ومن المواضع التي فيها تماثيل أو صورة ممنوعة شرعاً، ولا يجوز أن يحضر الكتب في موضع فيه منكر بين كشرب الخمر جهراً، أو مغان وحضرهن بآلات الطرب، وكشف الوجوه، والمعاصم، أو يكون ثم نساء متبرجات سواء اختلطن بالرجال أم لا.

(الثالث): أن يحترق الشاهد على نفسه مما اعتاده بعضهم في هذا الزمان، وهو أن القاضي إذا أشهد على نفسه في إمضاء الحكم قام الشهود له، وانحنوا حتى يقرب بعضهم من الركوع للمنون لغير الله تعالى.

(الرابع): ينبغي لطالب العلم أيضاً إذا جاءه الخصمان ليشهد عليهما بتقبيد ألفاظهما، وما شاكل ذلك مما يقع بينهما حين المشاجرة، أو الرجل وزوجته يريدان الفراق أن يكسر على كل واحد منهما مهما أمكنه، ويشير عليها بالصلح جهده، ويذكر لهما ما في الصلح من الخير، والبركة. قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ...﴾ (١)

وليعلم طالب العلم أن في تحفظه من تلك المناصب والاشتغال بالعلم أفضل؛ لأن طلب العلم أفضل الأعمال، وأذكاهها، وأبركها فليشد على ذلك يده؛ لأنه لا شيء أبرك مما هو فيه.

لقوله ﷺ: "تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه، وبذله لأهله قربه" (\*).

(١) سورة النساء: من الآية ١١٤.

(\*) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

## ٢١- زيارة الأولياء والصالحين :

يؤكد فقهاء المالكية على طالب العلم ألا يخلى نفسه من مصاحبة وزيارة ومحبة الأولياء والصالحين ليغتنم منهم البركة والخير.

وفى هذا الصدد يشير الإمام ابن الحاج "ينبغي للمتعلم أن لا يخلى نفسه من زيارة الأولياء، والصالحين الذين برئيتهم يحيى الله القلوب الميتة كما يحيى الأرض بوابل المطر فتشرح بهم الصدور الصلبة وتهون برئيتهم الأمور الصعبة إذ هم وقوف على باب الكريم المنان فلا يرد قاصدهم، ولا يخيب مجالسهم، ولا معارفهم، ولا محبتهم إذ هو باب الله المفتوح للعبادة، ومن كان كذلك فيتعين المبادرة إلى برئيتهم، واغتنام بركتهم؛ لأنه برؤية بعض هؤلاء يحصل له من الفهم، والحفظ وغيرهما، فلا يخلى نفسه من الخير العظيم لكن بشرط أن يكون محافظاً على اتباع السنة فى ذلك<sup>(١)</sup>.

وقد كان مالك رحمه الله "على اتصال علمي مستمر بعلماء عصره، سواء أكانوا فقهاء أم كانوا غير فقهاء، وكان يجالس علماء المدينة"<sup>(٢)</sup>.

وفى ذلك قدوة لطالب العلم فى الاتصال بالأولياء والصالحين من الناس والعلماء حتى يتواصل فيض علمه وتحصل له بركة الاجتماع بهم.

## ٢٢- عدم التعصب فى العلم المخالف للسنة :

يؤكد فقهاء المالكية على ضرورة أن يتبع طالب العلم السنة وتكون الحقيقة هى ضالته وأن يقتدى بالعلماء والصالحين من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين وعدم التعصب برأى معين يتناقض مع السنة الشريفة لأنها المحتوى الذى أخذت منه كل الآراء والفتاوى ولا يقلد التقليد الأعمى ولكن يأخذ نفسه بالاجتهاد والبحث ويعلم أن جميع العلماء من السلف الصالح جعلهم الله حجة فى دينه فقد اتفقوا فى الأحكام العامة

(١) ابن الحاج العبدري، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ص ١٣٠: ١٣١.  
(٢) محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره- أراؤه وفقهه، مرجع سابق، ص ٩٨.

واختلفوا فقط في الفرع فيسر؛ على الناس مسائلهم فوجب على طالب العلم أن يفرغ قلبه من التعصب لرأى شيخ يكون مخالفاً للشرع الشريف.

وفي هذا الصدد يذكر الإمام ابن الحاج "بلغنى ممن أثق به أن بعض من ينسب إلى العلم تكلم فى مسألة، ونقل فيها عن بعض شيوخه نقلاً تأباه الشريعة فقال له بعض من حضره: حديث النبى ﷺ يردُّ هذا فأجابه بأن قال: حديث النبى ﷺ إنما يرد للتبرأت والشيوخ هم الذين يُقتدى بهم، وهذا إن كان معتقداً لما قاله كان كافراً حلال الدم، وإن لم يعتقده فهو مرتكبٌ لكبيرٍ عظمى يجب عليه أن يتوب منها مع الأدب الموجع<sup>(١)</sup>.

وقد ورد إجلال الإمام مالك رحمه الله لحديث النبى ﷺ فما بالناس بالطعن فيه فيجب على طالب العلم أن يحذر كل الحذر من هذه البدعة التى عمت بها المفاصد وتتنافى مع أخلاق طالب العلم.

(١) ابن الحاج العبدى، مرجع سابق، م(١)، ج(٢)، ص ١٣٢.